الآراء العقدية عند طائفة العشيرة المحمدية الصوفية
عرض ونقد

دكتور/ محمد بن متعب البشري
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم - Qassim University

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والسنة وأخذ بنواصينا للبر والتقوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

فإن الافتراق في الدين سنة كونية وطريقة حتمية نبهنا عنها مَنْ لا ينطق عن الهوى حيث قال:((ألا وإن مَنْ كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة))[(١)].

وقد وقع الافتراق في الأمة كما أخبر به النبي ﷺ، فنشأت في الإسلام الفرق والمذاهب والأحزاب، فكان لزاماً على أهل العلم التبصير بالفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة وفق المنهج الصحيح المقتضي للعدل والإنصاف، ودراسة أقوال علمائها ومشايخها الذين قرروا مسائل العقيدة ونهجوا مناهج شتَى في الاستدلال عليها، فهم من حمل لواء المخالفة ابتداءً، وعلى طريقتهم سار أتباعهم انتهاءً.

ومن الفرق التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة فرق الصوفية،ومن أبرزها في العصر الحديث طريقة العشيرة المحمدية في مصر، والتي تم تأسيسها رسمياً على يد

---

(١) أخرجه أبو داود فيسننه (٤ / ١٩٨)، في كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث ٤٥٩٧، وابن ماجه في سننه(١٣٢٢/٢) ، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث ٣٩٩٣، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة(١ / ٤٠٤)، وفي صحيح الجامع (١ / ٥١٦).

رائدها محمد زكي إبراهيم[1] عام (١٩٣٠م)، والمعترف بها رسمياً من المجلس الصوفي، ومجلس الدولة بجمهورية مصر، عام(١٩٥٠م)، ويتصل سندها بالطريقة الشاذلية وفروعها، ويتصل سندها أيضًا ببعض الطرق الصوفية الأخرى، ثم بكثير من الطرق الصوفية الكبرى(٢).

والعشيرة المحمدية كغيرها من الطوائف الصوفية من حيث الخلل العقدي إلا في بعض الشعائر الصوفية التي تكون في الموالد والمناسبات الدينية كرقص والمزمار، والتلحين في الأذكار، واستعمال الخرقة الصوفية، وزفاف المشايخ في الاحتفالات والموالد،والضرائب الصوفية والعادات المفروضة، وغيرها من الآراء السائدة في كثير من الطرق الصوفية؛ لذا ورأيت من المناسب عرضه بعنوان: **((الآراء العقدية عند طائفة العشيرة المحمدية الصوفية عرض ونقد))**، وسيكون الحديث بإذن الله على أهم الآراء العقدية عند هذه الطائفة الصوفية مع الاختصار والإيجاز قد الإمكان.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعتبر هذه الطريقة من أهم الطرق الصوفية المعاصرة التي أعلنت العداء الواضح ضد المنهج السلفي.

٢- أهمية كشف وإبراز حقيقة طريقة العشيرة المحمدية عقائدياً وسلوكياً، وأثرها على المجتمع.

٣- بيان أهم الآراء والأفكار الغالية التي خالفت بها العشيرة المحمدية الطرق الصوفية.

٤- بيان الموقف من طريقة العشيرة المحمدية، ونشاطها في الدعوة إلى الطريقة ونشر التصوف.

٥- عدم الوقوف على رسالة علمية خاصة تناولت هذا الموضوع وفق منهج أهل السنة والجماعة.

---

(٢) هو محمد زكي الدين إبراهيم الخليل، مؤسس العشيرة المحمدية، ولد في القاهرة بحي بولاق عام ١٩١٦م، ونشأ في بيت شيدت أركانه وأسس على التصوف، فتلقى البيعة والعهد على يد والده، ويعتب محمد زكي إبراهيم من أشهر أتباع الحسن الشاذلي في العصر الحاضر= =له العديد من المؤلفات، ومن أشهرها: أصول الوصول، وكلمة الرائد، وقضايا الوسيلة والقبور، وغير ذلك من المؤلفات، توفي يوم الأربعاء من جماد الآخرة لعام ١٤١٩ه. انظر: ترجمة موجزة وتعريف بفضيلة الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم لمحيي الدين الأسنوي (ص٥-٥٣).

(٣) انظر: الدليل إلى الطريقة المحمدية إعداد أمانة الدعوة بالبيت المحمدي (ص٧) و(ص٢١٣- ٢١٤)، ووظيفة الحديث الضعيف (ص ٤٦)، ومفتاح القرب (ص١٣)، وأصول الوصول (ص٣٩٣)، وكلمة الرائد (ص٢١٥) لمحمد زكي إبراهيم.

هدف البحث:

يهدف الباحث من خلال هذا البحث إلى إظهار واقع العشيرة المحمدية في العصر الحاضر، وإظهار المعتقد الباطني السري والمتمثل بالأفكار الباطنية كالقول بوحدة الوجود، وبالحقيقة المحمدية، والتفريق بين الشريعة والحقيقة، وغيرها من الانحرافات، ونقد تلك الانحرافات وفق منهج أهل السنة والجماعة، وبيان الأثر الذي خلفته في الواقع المسلم، وعلى المجتمع المصري على وجه الخصوص عقائديًا، وسلوكياً

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والهدف من البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

الفصل الأول: آراء العشيرة المحمدية في التوحيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:آراء العشيرة المحمدية في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني:آراء العشيرة المحمدية في توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: آراء العشيرة المحمدية في توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثاني: آراء العشيرة المحمدية في الولاية والكرامات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الولاية ومراتب الأولياء عند طائفة العشيرة المحمدية.

المبحث الثاني: الكرامات وأقسامها عند العشيرة المحمدية.

الفصل الثالث: آراء العشيرة المحمدية في العقائد الغالية عند الصوفية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء العشيرة المحمدية من الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

المبحث الثاني: آراء العشيرة المحمدية من الحقيقة والشريعة والظاهر والباطن.

المبحث الثالث: آراء العشيرة المحمدية من دعوى علم الغيب.

الفصل الأول

آراء العشيرة المحمدية في عقيدة التوحيد

المبحث الأول: آراء العشيرة المحمدية في توحيد الربوبية

العشيرة المحمدية تقسم علم العقيدة (علم التوحيد) إلى أربعة أقسام كما هو مدون في مؤلفاتهم:

١- علم الإلهيات، ومعناه عندهم: كل ما يتعلق بشؤون الألوهية.

٢- النبوات، ومعناه عندهم: كل ما يتعلق بشؤون الأنبياء والرسل، ويلحق بهم الأولياء بوصفهم ورثة الأنبياء، والمبلغين عنهم.

٣- الروحانيات، ومعناه عندهم: كل ما يتعلق بشؤون الملائكة، والجن، والأرواح، والقوى المستورة.

٤- السمعيات، ومعناه عندهم: كل ما يتعلق بشؤون الغيب في الحياة، وما بعد الموت إلى يوم القيامة(١).

وما يتعلق بتوحيد الربوبية: فهم يدرجونه في القسم الأول المتعلق بالإلهيات، وقد سلكوا في تفسير التوحيد مسلك أهل الكلام(٢) الذين فسروا التوحيد بمقتضى توحيد الربوبية فقط، وغفلوا أو تغافلوا عن المقصد الأعظم وهو توحيد الألوهية والذي من أجله خلق الله الخلق، يقول رائد العشيرة المحمدية: ((فما دام أن هناك إلها فلا بد أن يكون هناك مألوه، وما دام أن هناك خالقاً رازقاً، فلا بد أن يكون هناك مخلوق ومرزوق، فخلق الخلق اقتضاء ذاتي للألوهية ... ثم إنه ليس المراد بالعبادة لزوم المساجد والانقطاع إلى الصلاة والذكر ونحوه فقط، ولكن المراد من العبادة هو تحقيق خلافة الإنسان عن الله في أرضه على أوسع المعاني الشاملة لشؤون الدنيا وشؤون الآخرة المادية والروحية معاً))(٣).

ويبين رائد العشيرة بأن التوحيد هو الإيمان بوجود الله ومعرفته؛ وأنه أول واجب فرضه الله على العباد وأن هذه المعرفة تقود إلى عبادته الله سبحانه وتعالى، كما هو رأي سائر المتكلمين، يقول في ذلك: ((إن أول ما فرض الله على العباد فرض معرفته

---

(١) انظر: خلاصة العقائد في الإسلام لمحمد زكي إبراهيم (ص١٠).

(٢) **أهل الكلام:** كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة، وتكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم. انظر: درء تعارض العقل والنقل(١/ ١٧٨)، وموقف المتكلمين للغصن (ص٢٨ - ٢٩).

(٣) أصول الوصول لمحمد زكي إبراهيم (ص٣٥٩ - ٣٦٠).

تعالى، فإن العبد لا يعبد من لا يعرفه، وقد عرفهم الله تعالى إلى نفسه أزلاً في قديم عالم الغيب كفاحاً[١]، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾{ سورة الأعراف: ١٧٢}، ثم عرفهم تعالى نفسه في عالم الشهود بما نشر في الأكوان من المعالم الخالدة الدالة عليه، ثم أعطى الناس إلى معرفته مفتاحاً ذاتياً وهو العقل والبصر، ثم تكرم عليهم بمفتاح خارجي متجدد هو إرسال الرسل الذي ختمهم بسيدنا محمد ﷺ))[٢].

ويبين في موضع آخر أن الواجب في حق الله تعالى التأمل والتفكر في كل كمال له سبحانه: ((الواجب في حقه تعالى إجمالاً: كل كمال يخطر على بال البشر، وكمالات الله تعالى لا تتناهى، ولا تحيط بها العقول))[٣].

ويرى رائد العشيرة المحمدية أن العلة من وجود الخلق هي الاستدلال على معرفته ووجوده، ونسي أو تناسى أن العلة العظمى من وجود الخلق هي عبادته وحده لا شريك له، يقول في ذلك: ((والدليل البسيط على وجوده تعالى هو وجود خلقه، فالخلق دليل على الخالق، كما أن الصنعة تدل على الصانع))[٤]، وهذا القول وافق فيه ساداته من الشاذلية الذين يرون أن العلة من وجود المخلوقات؛ لكي يعرف الله بها، قال ابن عطاء الله: ((الله سبحانه لم يظهر المملكة إلا لكي يشهد فيها، فالكائنات مرايا الصفات، فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه، فما نصبت الكائنات لتراها؛ ولكن لترى فيها مولاها، فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها، تراها من حيث ظهوره فيها، ولا تراها من حيث كونيتها))[٥].

ومن ضلالهم في باب التوحيد أنهم يرون أن الشرك إنما هو في باب توحيد الربوبية، وأما التوسل والتقرب، والدعاء، واستغاثة غير الله، كل هذا لا يعتبر من الشرك، يقول رائد العشيرة المحمدية في تعريف الشرك المخرج من الملة : ((الشرك: اعتقاد أن لله شريكاً يدبر الأمر معه ويشاركه في حكمه، أما التوسل فهو التقرب برضا المتقرب إليه، والاستغاثة: طلب النجدة ممن يستطيعها، والدعاء: النداء والطلب، وكل واحد من

---

(١)**كفاحاً:** أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. انظر: المصدر السابق (ص٣٥٩).

(٢) أصول الوصول (ص٣٥٩).

(٣) خلاصة العقائد الإسلامية (ص١٢).

(٤) خلاصة العقائد (ص١٥).

(٥) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري (ص٨٦).

هذه له في ذاته حقيقة مستقلة مباينة للآخر تمام المباينة، والخلط بينهما إما جهل أو تغليط أو تعصب جاهلي))[1].

ومن أجل ذلك هم يفسرون الآيات الواردة في الشرك بأن المقصود فيها الشرك في الربوبية، فمن ذلك تفسير رائد العشيرة المحمدية لقوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾{ سورة الزمر: ٣ } قال: ((فالآية فيمن اتخذوا من دون الله أولياء، والأولياء هنا هم المعبودون الذين اعتقدوا فيهم الربوبية، والاستقلال بالنفع والضر، فعبدوهم لهذا، وزعموا أنهم سيكونون لهم شفعاء عند شريكهم الأكبر، تعالى الله عما يشركون، فالآية في الربوبية، واستحقاق العبادة لا تتناول بمنطوقها ولا مفهومها ولا بسبب نزولها المؤمنين المتوسلين، فبأي جامع يصح قياس موحد في الربوبية واستحقاق العبادة للواحد المعبود بحق على مشرك به فيهما))[2].

ومن ضلالهم في باب التوحيد أنهم جعلوا له أسراراً لا يمكن الإفصاح عنها أو التكلم بها؛ إنما يعرفها الخواص من أهل التصوف، فهذا محمد زكي الدين إبراهيم يبين توحيد الصوفية بقوله : ((إن الحق تعالى ثابت قبل إثبات المثبت، ومن كان ثابتاً بنفسه فهو غير محتاج إلى إثبات أحد، إذا ما ثم من ثبتت له الألوهية في الخلق حتى تنفيها عنه، فقول: (لا إله إلا الله) إنما يريد بها الصوفي المؤمن مجرد ترديد التأكيد، مع رجاء ثواب التلاوة، ومتعة القلب بالتحقق والاندماج في أغوار المعنى الأقدس، فهل فهمت أين نحن؟! فاللت والعجن القشري السطحي الأحمق، والتقليد الفردي الببغاوي المنقول المكرر في قضية الشرك والتوحيد عند المسلم، وقصة الفرق بين الربوبية والألوهية، ومسرحية الشفاعة والوسيلة، ضع كل ذلك بتفاصيله وجزئياته وملحقاته وتوابعه وأهدافه في كفة، والمعنى الذي قررته لك في (لا إله إلا الله) ... إن للصوفيين اصطلاحاتهم التي قامت بعض الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواجيدهم، حين عجزت اللغة عن ذلك، فلا يفهم الصوفي إلا الصوفي، فالتصوف علم وفن وإدراك ونور، فالصوفي إذا قرأ ما تعيبه أنت، من نحو قول بعضهم: خلق الله الأشياء وهو

---

(١) المشروع والممنوع لمحمد زكي إبراهيم (ص٧٠).

(٢) أهل القبلة كلهم موحدون لمحمد زكي إبراهيم (ص١١٤).

عينها أو هو حقيقتها، فهم الصوفي على الفور أن المراد أنه قيومها ومفيضها من العدم ...))[١].

ويبين في موضع آخر بأن عقيدة التصوف، وعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ ولكن لا يعرف هذا إلا من عرف تصوف أهل الحق، فيقول في ذلك: ((سلام عليك يوم تعرف تصوف أهل الحق فتلمسه، فتكون أرقى وأنقى، وأبقى وأتقى، وأما محيي الدين فقد قرر عقيدته في أكثر من كتاب مما كتب، وأكد أنها عقيدة أهل السنة والجماعة ... فهو يشهد الله على أن عقيدته تدور في فلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾{ سورة: آل عمران:١٨ }، فماذا تريد منه بعد؟ أما إن بعض الناس لم يفهم مراده فيما عبر به، فليس هذا ذنب محيي الدين؛ ولكنه ذنب الجهل بعلم محيي الدين، وذنب العمى عن كشف محيي الدين، وذنب العجز عن إدراك محيي الدين))[٢].

ونفس الأمر))[٣].

وهذا الدكتور علي صبح يبين حقيقة التوحيد المطلق لله يكون عن طريق التجرد النفسي والصفاء الروحي، والكشف القلبي، فلا يرى في الوجود إلا ربه، فيقول في ذلك: ((وإذا كانت حقيقة التصوف هي التوحيد المطلق لله عز وجل عن طريق التجرد النفسي والصفاء الروحي والكشف القلبي بالحق المبين، فلا يرى الصوفي من الوجود إلا ربه في كل الوجود، يراه في الوردة الضامرة تكتم في حواشيها حرارة الحب، وحين تنفتح يفيض عنها الشوق ثناء على الله سبحانه، فيفوح منها ريحان الجنة، وعبير الإخلاص، ويرى النخلة في سكونها تكتم أنفاس الحب، فيهمس فيه سعف النخيل موسوساً، فإذا ما هاج الشوق ثارت عواصف الرياح فيخر النخيل راكعاً وساجداً لربه ... ويرى الصوفي بقلبه الحاضر بالله نور الحقيقة، وينكشف جلال الحق فيغرق في بحار نوره))[٤].

---

(١) كتاب يا ولدي لمحمد زكي إبراهيم (ص٥٧ - ٥٨).

(٢) كتاب يا ولدي (٥٨ - ٥٩).

(٣) أصول الوصول (ص١٩١ - ١٩٢).

(٤) مجلة الدراسات الصوفية (٤/ ٢٧٢).

وهذا الدكتور علي جمعة يبين توحيد خواص الخواص بقوله:((توحيد خواص الخواص: في حقيقة عالم التوحيد المبني على التفريد بعد أداء حق التجريد، وهو أن يفردك الحق بمفردانية عند استيلاء سلطان الذكر تخرج من قسور الحروف والصوت، فتفنى بسطوة بقية وجودك الذاكر وبقية سلطنة إثباته، فثبوت المذكور عن المذكور عن الذكر بدوام الذكر على مقتضى قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾{ سورة البقرة: ١٥٢ }، فيصبح حينئذ الذاكر مذكوراً، والمذكور ذكراً - مع ملاحظة أن لا يصير العبد رباً ولا الرب عبداً - ويستبدل الأين بالعين والمباينة بالمعاينة والأينية بالوحدانية، وفنى عن نفسه وعن غيره بالكلية في عين جمع الجمعية مشاهد الذات الحقيقية الصمدية المنزهة عن الجسمية الكشفية واللطيفة وتوابعها ولوازمها بالكلية، ولا يرى إلا الواحد الحق أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ،{سورة الشورى: ١١}، هذا توحيد خواص الخواص))(١).

فهنا فسروا التوحيد بمعناه الخاص، والذي يعني به وحدة الوجود، وهذا الذي عليه ساداتهم الشاذلية، قال ابن مشيش مخاطباً أبا الحسن الشاذلي: ((يا أبا الحسن حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، ومع كل شيء، وقريباً من كل شيء، ومحيطاً بكل شيء ...))(٢).

يتضح مما تقدم: أن التوحيد عند رجال العشيرة المحمدية هو توحيد الربوبية، وهو التوحيد الواجب معرفته، والشرك، إنما يكون في هذا التوحيد، ولهذا عندما يتكلمون عن الإلهيات فهم يقصدون بذلك توحيد الربوبية، فتجدهم يتكلمون عن وجود الله، وعن الواجب، والمستحيل، والممكن في حقه سبحانه وتعالى(٣)، ويتضح أيضاً من خلال كلامهم أنهم فسروا التوحيد بمعناه العام، وهو معرفة الله، وأن أول واجب هو النظر والاستدلال على وجود الخالق، كما هو رأي سائر المتكلمين، وهذا هو التفسير الظاهر للتوحيد عندهم، وفسروه بمعناه الخاص، وهو وحدة الوجود والذي لا يعرفه إلا الخواص منهم عن طريق الكشف والإلهام، دون النظر والاستدلال، كما هو رأي ساداتهم الشاذلية.

---

(١) النفس ومراتبها للدكتور علي جمعة بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٢) لطائف المعارف (ص٢١٤).

(٣) انظر: خلاصة العقائد في الإسلام (ص١٣ - ١٤).

هذه عقيدة رجال العشيرة المحمدية في توحيد الربوبية، وقد جانبت في كثير منها معتقد السلف، **والجواب عن ما تقدم نجمله في النقاط التالية:**

أولاً: فسر رجال العشيرة المحمدية توحيد الربوبية بمعناه العام، وهو معرفة الله، وأن أول واجب هو النظر والاستدلال على معرفته ووجوده، وهو التفسير الظاهر الذي وافقوا فيه أهل الكلام، وهذا التفسير مخالف لما عليه السلف، حيث إن السلف فسروا توحيد الربوبية بأنه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق المتصرف بهذا الكون العظيم، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد لهفي قبضته وتحت قعره، فهو المتفرد بالرزق والتدبير، لا شريك له فيحكمه، ولا راد له في قضائه وقدره سبحانه وتعالى[١]، ومن الضلال المبين عندهم تفسيرهم التوحيد بتوحيد الربوبية فقط دون توحيد الألوهية، قال ابن تيمية رحمه الله: ((الذين يقولون: التوحيد هو توحيد الربوبية، والإلهية عندهم هي القدرة على الاختراع، ولا يعرفون توحيد الألوهية، ولا يعلمون أن الإله هو المألوه المعبود، وأن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء لا يكون توحيداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾{ سورة يوسف: ١٠٦ }، قال عكرمة: تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله، وهم يعبدون غيره، وهؤلاء يدعون التحقيق والفناء في التوحيد، ويقولون إن هذه نهاية المعرفة، وإن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة، وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهؤلاء غاية توحيدهم توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ... فإن هؤلاء المشركين مقرون بأن الله خالق السموات والأرض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء، بل كانوا مقرين بالقدر أيضاً، فإن العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر، ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى، فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين، وهذا المقام مقام، وأي مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية (١/ ٣٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٥٧)، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (١/ ٢٠ - ١٢)، وأعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي (ص٥٤).

أهل التوحيد بعباد الأصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام))[١].

إن التوحيد عند السلف رحمهم الله، ليس بهذه الصورة التي يقررها الصوفية؛ إنما هو قائم على التنزيه، ونفي المماثلة، والمشابهة، والحلول والاتحاد، وفي الوقت ذاته يصفون الله بما يليق به بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكانت مكانة التوحيد محفوظة بسياج متين، وحصن حصين من أن يناله الشرك، وأما توحيد هؤلاء فإنه لا بد له من مكاشفات ربانية، وأسرار إلهية، حتى يصل إلى تحقيق التوحيد، وهذا لا شك بأنه منافي لما قرره الوحي[٢].

ثانياً:فسر بعضهم توحيد الربوبية بالمعنى الخاص عندهم، والذي يقتضي القول بوحدة الوجود، كما هو ظاهر من قول الدكتور علي صبح: ((وإذا كانت حقيقة التصوف هي التوحيد المطلق لله عز وجل عن طريق التجرد النفسي والصفاء الروحي والكشف القلبي بالحق المبين، فلا يرى الصوفي من الوجود إلا ربه في كل الوجود، يراه في الوردة الضامرة تكتم في حواشيها حرارة الحب، وحين تتفتح يفيض عنها الشوق ثناء على الله سبحانه، فيفوح منها ريحان الجنة، وعبير الإخلاص، ويرى النخلة في سكونها تكتم أنفاس الحب فيهمس فيه سعف النخيل موسوساً، فإذا ما هاج الشوق ثارت عواصف الرياح فيخر النخيل راكعاً وساجداً لربه))[٣]، فهذا القول والعياذ بالله معناه أن كل الموجودات هي عين الله، وهي عقيدة باطنية لا يدركها إلا الخواص منهم، وقد تقدم ذكر أقوال رائد العشيرة في هذه المسألة، وبهذا القول وافقوا ساداتهم الشاذلية، قال ابن عجيبة: ((إن الحق جلا جلاله محيط بكل شيء، فأسرار ذاته العلية أحاطت بالوجود بأسره، فما فوق العرش هو عين ما تحت الثرى، فلو صعد أحد إلى ما فوق العرش لوجد الله، ولو هبط إلى ما تحت الأرض السفلى لوجد الله؛ إذ عظمته أحاطته بكل شيء، ومحت وجود كل شيء، وعلم أن الحق جلا جلاله منفرد بالوجود، لا شيء معه، غير أن عظمة الذات الخارجة عن دائرة قبضة التكوين باقية على أصلها من الطاقة والكنزية، والعظمة الداخلة في القبضة حين دخلها التكثيف وتحسست ليقع بها

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٠٣).

(٢) انظر: نشأة الفلسفة الصوفية لعرفان عبد الحميد فتاح (ص١٥١).

(٣) مجلة الدراسات الصوفية (٤/ ٢٧٢).

التجلي استترت وترددت برداء الكبرياء، فظهر فيها الضدان العبودية والربوبية، والحسن والمعنى، والقدرة والحكمة، فاستترت الربوبية برداء الكبرياء، فكان من اصطلاح الوحي التنزيلي أن يخبر عن العظمة الأصلية وينعت أوصافها، ويسكت عن العظمة الفرعية التي وقع بها التجلي؛ ستراً لسر الربوبية أن يظهر، إذ لو ظهر لفسد نام عالم الحكمة ... فسر الألوهية: هو قيامها بالأشياء، وظهورها بها، بل لا وجود للأشياء معها، فلو انكشف السر لجميع الناس لاستغنوا عن العبادة والعبودية، ولبطلت أحكام النبوة، إذ النبوة إنما هي لبيان العبادة وآداب العبودية، وعند ظهور هذا السر يقع الاستغناء عن تلقي الوحي، وأيضاً ليست القلوب كلها تقدر على حمل هذا السر، فلو تجلى للقلوب الضعيفة لوقع لها الدهش والحيرة، وربما أداها إلى التلف))(١).

وقد بين ابن تيمية رحمه الله ضلال القائلين بهذه العقيدة، قال في ذلك: ((فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء: فإنهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا بالله كل مخلوق، وجوزوا أن يعبد كل شيء، ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون: ما عبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك وكل جحود وتعطيل؛ مع ظنهم أنهم ما عبدوا إلا الله؛ ومعلوم أن هذا خلاف دين المرسلين كلهم؛ وخلاف دين أهل الكتاب كلهم والملل كلها؛ بل وخلاف دين المشركين أيضا؛ وخلاف ما فطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في نفوسهم، وهو في غاية الفساد والتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين))(٢).

ثالثاً:اعتقاد رجال العشيرة أن الشرك إنما يقع في توحيد الربوبية، كما قال رائد العشيرة: ((الشرك: اعتقاد أن لله شريكاً يدبر الأمر معه ويشاركه في حكمه))، فالشاذلية التي عليها العشيرة المحمدية أشركوا في توحيد الربوبية قبل أن يقعوا في شرك توحيد الألوهية، وذلك بتقديس الأولياء من دون الله، ومشاركتهم في حكمه، ثم صرف العبادة لهم، فهم أولاً أشركوا بتوحيد الربوبية، ثم وقع منهم الشرك في توحيد الألوهية؛ وذلك باعتقادهم أن النبي أو الولي أو الشيخ يملك النفع والضر سواء في حياته أو بعد موته، لذلك توجهوا له بالدعاء والاستغاثة والتضرع عند قبره، قال أبو

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٦/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٥).

الحسن الشاذلي: ((إذا كثرت الخواطر والوسوسة فتوجه بقلبك لشيخك، فإن لم يزل فإلى ربك، وقل سبحان الملك الخلاق))[١].

وهذا رائد العشيرة المحمدية يظهر تقديسه للأولياء والشيوخ، وأنهم يملكون النفع والضر بعد الموت، قال في ذلك: ((وإن كان يطلب المدد من شيخ متوفى، فهو يطلب من روحه التي يعتقد أنها تحيا برزخياً، في مقام القرب من الحق، أن تتوجه شفاعة إلى الله في شأنه بما يهمه، فالأرواح في عالمها تحيا حياة غير مقيدة بحدود زمان أو مكان، فالقيود والحدود نتيجة الحياة البشرية، وأما الأرواح فهي من عالم الانطلاق))[٢].

وقال في موضع آخر: ((والقائلون بأن فلاناً من أهل التصريف مثلاً يريدون أنه من أهل الوجاهة عند الله والقبول لديه، وأنه من أهل استجابة الدعاء سواء كان نطقاً باللسان أو توجها بالقلب، أو تحركاً للإرادة وكنه الهمة))[٣].

المبحث الثاني: آراء العشيرة المحمدية في توحيد الألوهية

العشيرة المحمدية لا يرون أن توحيد الألوهية داخل في أقسام التوحيد، ولا هو من أصول العقيدة؛ إنما إدراجه في قسم التوحيد بدعة جاءت من السلفية، يقول رائد العشيرة المحمدية: ((لم يكن يعرف الإسلام قبل فتنة التسلف فرقاً بين ما يسمونه توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فإذا أطلق لفظ الإله فلا ينصرف إلا إلى الله، وإذا أطلق لفظ الرب فلا ينصرف إلا إلى الله؛ فالله هو الرب، والرب هو الله، ما لم يقيد التعبير بما يصرفه عن الأصل فيه، هذا ما أجمعت عليه الأمة))[٤].

ويقول محيي الدين الأسنوي: ((ومن أهم وأعجب ما ابتدعوه على غير هدى لتروج تلك الفكرة - فكرة مسلم موحد وغير موحد - تقسيمهم التوحيد إلى ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات؛ وبذلك فتحوا الطريق لفكرة المسلم المشرك، المسلم الموحد توحيد ألوهية دون توحيد ربوبية أو العكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي حيل كلامية لا يعرفها الإسلام منذ أزهى عصوره، فهي بدعة سوء وتخريب ودمار))[٥].

وهذا الدكتور أحمد الشريف يرى أن تقسيم التوحيد بدعة جاء بها ابن تيمية رحمه الله، فلم تعرف من قبله، إنما روجها أتباعه من الوهابية، فيقول في ذلك: ((تقسيم التوحيد

---

(١) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (٢/ ٤٧٩).

(٢) أبجدية التصوف لمحمد زكي إبراهيم (ص٥٧).

(٣) قضايا الوسيلة والقبور لمحمد زكي إبراهيم (ص٢٤).

(٤) كلمة الرائد لمحمد زكي إبراهيم (٣/ ٤٩٤).

(٥) الفروع الخلافية لمحمد زكي إبراهيم (ص٥٧).

إلى ثلاثة أقسام، الثالوث الوهابي، يرهبون به المسلمين، ويكفرون به الموحدين، ويحملون فيه السلاح، ويستحلون به الأموال والأعراض،

نعلم أن ابن تيمية هو أول من اخترع تقسيم التوحيد إلى قسمين أو ثلاثة، فادعى أن التوحيد ينقسم إلى ربوبية،وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات ... فابن تيمية هو أول من اخترع هذا التقسيم، وخاصة القسم الثالث، لم يقل به أحد قبل ابن تيمية لافي الأولين ولا في الآخرين بالإجماع ...))[١].

ويعتبرون توحيد الألوهية من المسائل الفرعية التي يجوز الخلاف فيها، يقول محمد زكي الدين إبراهيم: ((المسائل الخلافية كالتوسل في الدعاء والقراءة للميت ... وزيارة مشاهد الأولياء، والذكر بجماعة والتعبد بالأحزاب والأوراد والصلوات، وأسماء الله تعالى، وبعض تقاليد الصوفية وتقسيم البدعة ونحو ذلك وهو كثير، كل هذه المسائل فرعية اجتهادية، قد اختلف ولا يزال يختلف فيها الرأي والنظر، ولن يمكن

الاجتماع فيها أبداً على رأي واحد أبداً، وهي من مسائل الحلال والحرام، وليست من مسائل العقيدة التي يترتب عليها الكفر والإيمان،وكل رجل فيها ملزم بما صح عنده من دليل يلقي الله عليه بلا مشاغبة ... وهي عندنا ربما ترددت بين الرخصة والعزيمة فنتعامل فيها على هذا الأساس، ولا تكون سبباً في الفرقة بين المسلمين أو الحرب التي تمزق الأسر وتمزع البلاد؛ وإنما شأنها شأن الخلاف الفقهي المعروف بين المذاهب الأربعة، فكل إنسان يلتزم بما اختار لنفسه فيها، ولكن لا نجادل ولا نماري أبداً؛ لأنه لا فائدة من وراء الجدال على الإطلاق وحسبنا أن ندفع بالتي هي أحسن))[٢].

ويبين في موضع آخر أن الكلام في توحيد الألوهية محله الفروع التي يسوغ فيها الخلاف، والكل مجتهد في ذلك؛ ولكن الوهابية هم الذين جعلوه من الأصول؛ ليستحلوا به دماء المسلمين، وسلب أموالهم وأعراضهم، ولم يكن الهدف من ذلك دينياً، إنما لحاجة في نفوسهم، وكل ذلك كان بدعم من الاستعمار الذي أدرك خطورة هذا السلاح، فيقول في ذلك: ((ولا بد من تعيين أن كل هذه البحوث[٣] محلها الفروع،والكلام فيها إنما هو بين موحد ومسلم كلاهما مجتهد، فنقلها إلى الأصول وتصوير الكلام فيها على أنه بين موحد ومشرك، هو الخطر الأكبر والسرطان السياسي الذي افترته قديماً نفر من أهل الصحاري يستحلون به دماء جيرانهم، ونهب أموالهم وسبي نسائهم لحاجة في

(١) محاضرة بعنوان: ((الانحرافات العقدية لخوارج العصر)) منشور على اليوتيوب.

(٢) الدليل إلى الطريقة المحمدية إعداد أمانة الدعوة بالبيت المحمدي (ص١٦٢).

(٣) يقصد بذلك المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية كالتوسل، والاستغاثة، والقبور وغيرها.

نفوسهم، ثم أدركت أيادي الاستعمار خطورة هذا السلاح فغذته بكل ما استطاعت من غذاء في السر والعلن))[1].

وقال الأسنوي حول هذه القضية: ((وإنه لما يحز في النفس أن ترى طوائف من المسلمين تتشبث بخلافات لا قيمة لها، وتعمل على إحياء نار الخلاف حولها كلما خمدت، وتتخذ الهجوم على سلف المسلمين وعلمائهم وسيلة لأهدافهم والتكفير والتفسيق والتضليل طريقاً إلى مآربهم، ولا يتورعون عن التخريب والتدمير والإرهاب بجميع الصور الفكرية والدينية والجسدية بما هو فوق الفحش والبذاءة باسم الدين المظلوم ... وتقوم الدنيا وتقعد على خلاف فرعي حول مسألة الوسيلة والقبور،وليس أقل من التكفير والتشريك وسيلة للحل عندهم،فقد احتكروا الحق وجعلوه لهم تعسفاً ومجازفة))[2].

وعلى هذا الأساس ليس عند العشيرة المحمدية مسلم يقع في الشرك؛ إنما جاء هذا من أهل التجديد والتوحيد؛ لاستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم[3].

ولم يكتفوا بذلك؛ بل دعوا الناس إلى الشرك في باب توحيد الألوهية، فقد ألف رائد العشيرة المحمدية في ذلك كتاباً سماه (قضايا الوسيلة والقبور في ضوء سماحة الإسلام)، دعا فيه إلى تجويز كثير من الممارسات الشركية المتعلقة بالقبور، والتوسل بغير الله، والتبرك بالصالحين، وقد ذكر أن سبب تأليفه لهذا الكتاب حماية للمجتمع من فتنة الوهابية المدمرة للعقيدة: ((هذه كليمات في مسألة الوسيلة سبق أن كتبناها استجابة لإلحاح بعض الإخوان، ولحاجة الزمان، واليوم نلتقي ونعيده نشرها للضرورة الملحة، وقد لخصنا فيها أكثر ما سبق أن كتبناه في هذا الموضوع، واكتفينا بالتركيز على الأصول التي تغني عن الكلام في التفاصيل والفروع إنقاذاً للجمهور المسلم، ولم يخطر ببالنا أن يقتنع بها خصوم التوسل، ولكننا أردنا تسجيل صورة من الحق الأبلج، لتثبيت الجماهير المسلمة، ووقايتهم من فتنة الوهابية المدمرة للعقيدة والوطنية والقومية والمعاني الإنسانية الرفيعة))[4].

وألف كتاباً آخر في المشروع والممنوع في قضايا القباب، والمحاريب، والمساجد، والقبور، وشد الرحال، والموالد، وزيارة مسجد الرسول، والتبرك بالصالحين، وقد ذكر في مقدمته أنه رد على أهل دعوة التوحيد، في هذه المسائل،والتي يصفهم بأشد

(١) كلمة الرائد (١/ ٨٠).

(٢) الفروع الخلافية (ص٦).

(٣) انظر: الفروع الخلافية (ص٥٧)، وقضايا الوسيلة ولقبور لمحمد زكي إبراهيم (ص٤٣).

(٤) قضايا الوسيلة والقبور (ص٥).

الأوصاف، وأقبح الألقاب، ثم يزعم أن في هذا ترسيخاً للوسطية والاعتدال، حيث قال: ((هذه الرسالة التي بدأتها على أنها مقدمة وافتتاحية، ثم عمني شعور عاصف بأن الله أراد هذا، ليسعف الناس في هذه الأيام بمختص مركز؛ ليطرد عنهم كوابيس التمسلف المشبوه، ويأخذ بيدهم إلى الوسطية الشرعية التي تجمع الصف، وتقرب بين الأمة، وتأخذ بيدها إلى ما هو أهم وأخطر من معالي الأمور، ومطالب الحياة المعاصرة، ثم لتكون بيد الصوفية الشرعية الراشدة سلاحاً ومصباحاً كلما هبت رياح الخلاف التمسلفي اللئيم، وتركت الناس حيارى لا يهتدون السبيل في ظلمات التحريف والتخريب والتصحيف، وفي أمواج التهويل والتضليل والتغفيل، ومع البذاءة والنذالة والحماقة والشتم والسب، مما إنهار بالأمة إلى هذا الحضيض الأدنى، والدرك الأسفل، في كل مقومات الحياة، مع فقدان العزة والمجد والسيادة))[١].

ولأجل ذلك كثرت مظاهر الشرك في توحيد الألوهية عند العشيرة المحمدية، والتي قررها شيخ الطريقة ورائدهم في كثير من مؤلفاته؛ لأن الشرك لا يقع إلا في توحيد الربوبية[٢]؛ فعباراتهم في تقرير مسائل توحيد الألوهية فيها من التسامح والوسطية المزعومة، وبأنها مسائل فرعية لا ينبغي التشديد فيها، فنجد مثلاً رائد العشيرة يقرر أن الذي يصرف العبادة لغير الله لا يعتبر مشركاً؛ بل يصفه بأنه مرتكب لخطأ، قال في ذلك: ((قد يخطئ بعض العامة أو الجمهور فيقول مثلاً: نذرت هذا الشيء لفلان، فينبري له بعضهم متهماً إياه بالشرك والكفر والخروج من الملة، بل واستحلال دمه وعرضه وماله، بدلاً من توجيهه بالتي هي أحسن))[٣].

ويصف من توسل بغير الله بأنه أخطأ التعبير، فلا يجوز رميه بالشرك جزافاً؛ لأن التوحيد مفروش ومستقر في قلبه، فيقول في ذلك: ((فإن أخطأ المتوسل التعبير فلا شك أن المعنى الصحيح مفروش ومستقر في قلبه مركوز في نفسه، فعلينا أن نعلمه لا أن نكفره ونرميه جزافاً بالشرك العظيم))[٤].

ويرى رائد العشيرة بأن الصلاة باتجاه القبر أو على القبر ليست من الشرك، ولا هي من وسائله، وأن من وقع في هذا فقد أخطأ، وأقل درجاته أنه ارتكب مكروهاً لا تفسد الصلاة به، فيقول في ذلك: ((إن القبور والأضرحة تكون غالباً حجرات أو مقاصير

---

(١) المشروع والممنوع لمحمد زكي إبراهيم (ص٤).

(٢) انظر: المشروع والممنوع (ص٧٠)، وأهل القبلة كلهم موحدون لمحمد زكي إبراهيم (ص١١٤).

(٣) المشروع والممنوع (ص٧٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٦٤).

في جوار المسجد، فلو فرضنا أن حجرة القبر بحائط المسجد كانت أمام المصلي، فهو يصلي داخل هذه الحجرة لا إلى القبر، ولو فرضنا أنه كان يصلي داخل هذه الحجرة فهو يصلي إلى سترة، وهذه السترة قد تكون السور الخشبي أو النحاسي حول الضريح، فهو لا يصلي إلى القبر أيضاً، ولو فرضنا أنه كان يصلي إلى القبر أو عليه مباشرة فقد ارتكب على الأكثر مكروهاً لا تفسد الصلاة به فضلاً عن الاتهام بالشرك أو الكفر أو الزندقة والضلال إذا سلمنا بالكراهية جدلاً، ونحن الآن بعد نحو ألف من عمر الإسلام فلم يعبد مسلم حجراً، ولا أشرك مسلم بربه وثناً، ولا سجد لغير الله من قبر أو مقبور، وقد يخطىء بعض العامة آداب زيارة القبور والأضرحة، وهنا يجب أن نسمي الأشياء بأسمائها، فهذا يسمى خطأ أو يسمى جهلاً، وقد يسمى ذنباً، ولكنه لا يسمى شركاً، ولا يسمى كفراً، إذا أردنا أن نصف الدين والعلم والناس))(١).

ويرى أيضاً أن التوسل بغير الله كالتوسل بأصحاب القبور، ليس من مسائل التوحيد، ولا هي من الشرك، ونقلها إلى الكفر والشرك ظلم للعلم والدين؛ إنما هي من الفروع التي محلها الصواب والخطأ، وحكمها دائر بين الحلال والحرام، والآيات الواردة في هذا الشأن خاصة بالكفار، وهي خارج محل النزاع، فيقول في ذلك: ((إذا تحدثنا في أمر الوسيلة أو القبور مثلاً، فإننا إنما نتحدث في أمر فرعي، حسبك وغيرك فيه الدليل الظني، إذ أن كل ما انسحب عليه حكم الجواز والمنع فمحله الفروع، والفروع محلها الخطأ والصواب، وحكمها الحلال والحرام، فنقلها إلى حكم الكفر والإيمان والشرك والتوحيد ظلم للعلم والدين، والاستدلال فيها بآيات أنزلت في الكفار تلبيس أو تدليس، وهو استدلال بما هو غريب عن موضوع النزاع))(٢).

ويقرر أن العلة في منع البناء على القبور في صدر الإسلام، هو الخوف من الوقوع في الشرك، وأن العلة في هذا الزمان قد انتفت، وبالتالي يجوز البناء على القبور، إذ خلا من علل ثلاث، قال في ذلك: ((أن البناء على القبور منع في صدر الإسلام خوف الشرك، وبانتفاء هذه العلة انتفى المعلول فيجوز البناء، ويكره البناء على القبور في الحالات الثلاث: حالة الأرض المسبلة لئلا يضيق على الناس، وحالة المراءة بالبناء، وحالة عدم انتفاع المسلمين بما يبنى، فإذا كانت الأرض مملوكة، أو لم يقصد بالبناء الرياء، أو عاد على المسلمين نفع من البناء على القبر، كالمساجد والزوايا، والمدارس

---

(١) المصدر السابق (ص٩ - ١٠).

(٢) قضايا الوسيلة والقبور (ص٩٣).

والمشافي، والملاجئ وغيرها، امتنعت الكراهة لتحقق المصلحة، ونحن ملزمون برأينا شرعاً حتى نستيقن الخطأ فيه، وليس كذلك إن شاء الله))(١).

ويقرر جواز التمسح بقبور الصالحين، وخاصة المضطر، والعالم الذي لا يخشى الوقوع في المحرم، ثم يبين أنه لا يجوز اتهام من يفعل ذلك بالشرك أو الكفر، فيقول في ذلك: ((ونحن هنا لا نجيز ذلك إلا للمغلوب على أمره، كما حدث مع بلال(٢)، أو للعالم الذي يخشى عليه الوقوع فيما لا يجوز أو نحو ذلك، وأما الجاهل فيعذر ويعلم، ولكن لا يرمى جزافاً بالشرك والكفر وعظائم الكبائر))(٣).

هذه عقيدة رجال العشيرة المحمدية في توحيد الألوهية، وقد جانبت معتقد السلف، حيث جاء على لسان العشيرة المحمدية التنقيص من توحيد الألوهية، بأنه ليس من أقسام التوحيد، وأن الخلاف فيه من الخلافات الفرعية التي لا يجوز التشديد فيه، وأنه ليس هناك مسلم يشرك في توحيد الألوهية، إنما جاء هذا من أهل التجديد والتوحيد؛ لاستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ والسبب في ذلك لاعتقادهم أن إقرارهم بتوحيد الربوبية هو غاية التوحيد، وهو التوحيد الواجب على المكلف، وبالتالي ليس هناك حاجة إلى غيره(٤)، ولا شك أن هذا من أبطل الباطل؛ فإن الله هو الذي جاء بهذا التوحيد وأمر به الرسل، والأدلة على ذلك مستفيضة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾{ سورة النحل: ٣٦ }، وكقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ سورة الأنبياء: ٢٥ }، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾ { سورة هود: ٥٠ }، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال:

---

(١) المشروع والممنوع (ص٢١ - ٢٢).

(٢) يقصد بذلك بلال بن الحارث المزني، عندما أتى قبر الرسول ﷺ عام الرمادة وذلك في عهد عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، وقد بلغ فعله لعمر وللصحابة ﷺ فلم ينكر عليه أحد منهم، وهذه القصة لا تصح وقد أجاب أهل العلم عن سندها بكلام مطول. انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية لسليمان بن سحمان (١/ ١٧٠ -١٧٤)، وكشف شبهات الصوفية لشحادة صقر (١/ ١٠٠).

(٣)المشروع والممنوع (ص٣٢- ٣٣).

(٤) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور: عبد العزيز بن عبد اللطيف (ص٣٢٥).

((من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله))[١].

وقد أمر الله بعبادته، ونهى أن يدع العبد معه أحد غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾{ سورة الجن: ١٨ }، وكقوله تعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾{ سورة غافر:١٤ }، فمن صرف شيئاً من العبادات القلبية كالخوف والرجاء، والمحبة والإنابة، والخشية والرهبة والتوكل، أو صرف شيئاً من العبادات القولية كالتسبيح والتهليل والاستغفار والدعاء، أو صرف شيئاً من العبادات العملية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد؛ فقد أشرك به سبحانه وتعالى؛ فالله هو المستحق للألوهية المتصف بها؛ ولأنه الكامل في أسمائه وصفاته المنفرد بأفعاله الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾{ سورة طه: ١٤ }أي: أن جميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة أصولها وفروعها يجب أن تكون لله عز وجل[٢].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان مكانة توحيد الألوهية: ((ولظهوره وجلائه أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الله به الأولين والآخرين من عباده، وأما الرمز والإشارة والتعقيد، الذي لا يكاد أن يفهمه أحد من الناس إلا بجهد وكلفة فليس مما جاءت به الرسل، ولا دعوا إليه، فظهور هذا التوحيد وانجلاؤه ووضوحه، وشهادة الفطر والعقول به من أعظم الأدلة أنه أعلى مراتب التوحيد، وذروة سنامه، ولذلك قوي على نفي الشرك الأعظم، فإن الشيء كلما عظم لا يدفعه إلا العظيم، فلو كان شيء أعظم من هذا التوحيد لدفع الله به الشرك الأعظم، ولعظمته وشرفه؛ نصبت عليه القبلة وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وانفصلت به دار الكفر من دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي، ومهتدي وغوي، ونادت عليه الكتب والرسل))[٣].

وقال السعدي رحمه الله: ((لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولا بد من القيام بعبادة الله وحده طاعة لله وانقياداً، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك عقداً وقولاً وفعلاً، ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي ﷺ (١/ ٥٣)، في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم ٣٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي (١/ ٥٠٣).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية (٣/ ٤٥٠ - ٤٥١).

وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية))[1].

ثم إن رجال العشيرة المحمدية لم يفهموا التوحيد على حقيقته؛فأساس الإشكال عندهم هو عدم معرفتهم فيما يدخل في العبادة والتوحيد، وما يدخل في الشرك من عدمه، يقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي[2]رحمه الله مبيناً هذا الإشكال عند هؤلاء القوم: ((إني تدبرت الخلاف المستطير بين الأمة في القرون المتأخرة في شأن الاستغاثة بالصالحين الموتى، تعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء، وزعم بعض الأمة في كثير من ذلك أنه شرك، وبعضها أنه بدعة، وبعضهما أنه حق، ورأيت كثيراً من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيات والجن ما يطول شرحه، وبعضه موجود في كتب التنجيم، كشمس المعرف وغيره، وعلمت أن مسلماً لا يقدم على ما يعلم أنه شرك، ولا على تكفير ما يعلم أنه غير كافر، ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك، فنظرت في حقيقة الشرك فإذا هو بالاتفاق اتخاذ غير الله عز وجل إلهاً من دونه، أو عباده غير الله تعالى، فاتجه النظر إلى معنى الإله والعبادة، فإذا فيه اشتباه شديد، فعلمت أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف))[3].

وأيضاً نجد أن رجال العشيرة وغيرهم من الطرق الصوفية يفرقون بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، كما قرر ذلك رائد العشيرة عندما قال: ((التصوف من حيث هو خلق وعبادة وجهاد، مما نزل به الوحي، وجاء به القرآن في آيات الأخلاق، والذكر والعبادة، وأكدته السنة المحمدية كذلك))[4]، وعندما عرف التوحيد قال: ((التوحيد هو: إفراد المعبود بالعبادة واعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً))[5] فهم يوحدون الله تعالى في فعل العبادة من صلاة وصيام، وحج وغيرها، لكنهم يخرجون الدعاء والوسيلة والاستغاثة ونحوها عن مفهوم العبادة، وهذا هو مكمن الخطأ والضلال عندهم؛ لأن

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٠).

(٢) هو العلامة عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليمان، ولد بالعتمة سنة ١٣١٣ه، ونشأ بها، ثم سافر إلى جيزان سنة ١٣٢٩ه، وعين في رئاسة القضاء، ثم سافر إلى الهند وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ثم عاد إلى مكة سنة ١٣٧١ه، فعين أمينا لمكتبة الحرم المكي، وبقي فيها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٨٦ه، ودفن بمكة. انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية للمغراوي (٩/ ٤٦٨).

(٣) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله لعبد الرحمن المعلمي (ص٣١).

(٤) المرجع معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف لمعاصر (ص ٨٢).

(٥) قضايا الوسيلة والقبور (ص١٢٥).

عندهم؛ لأن دعاء العبادة، ودعاء المسألة متلازمان، فدعاء المسألة يراد به: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، فالمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾{ سورة المائدة: ٧٦}، فالمعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة، ويدعى خوفاً ورجاء دعاء عبادة، فعلم من ذلك أن النوعين متلازمان، فكل

دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء متضمن لدعاء العبادة، وبهذا تندفع حجتهم، وبهذا يعلم أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك، فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة[١].

المبحث الثالث: آراء العشيرة المحمدية في توحيد الأسماء والصفات

العشيرة المحمدية يرون أن توحيد الأسماء والصفات داخل في قسم الإلهيات المتعلق بتوحيد الربوبية، كما قال محمد زكي إبراهيم: ((وينبغي ألا ينسى أن أول ما فرض الله على العبد فرض معرفته تعالى بمعرفة صفاته ولو إجمالاً، فالإنسان لا يعبد من لا يعرفه))[٢]، ولا يرون أنه قسم مستقل من أقسام التوحيد؛ بل هي بدعة من بدع الوهابية،فهذا أحمد الشريف يرى أن توحيد الأسماء والصفات بدعة جاء بها ابن تيمية رحمه الله، فلم تعرف من قبله، فيقول في ذلك: ((نعلم أن ابن تيمية هو أول من اخترع تقسيم التوحيد إلى قسمين أو ثلاثة، فادعى أن التوحيد ينقسم إلى ربوبية،وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات ... فابن تيمية هو أول من اخترع هذا التقسيم، وخاصة القسم الثالث، لم يقل به أحد قبل ابن تيمية لافي الأولين ولا في الآخرين بالإجماع ...))[٣].

وقال محيي الدين : ((ومن أهم وأعجب ما ابتدعوه على غير هدى لتروج تلك الفكرة - فكرة مسلم موحد وغير موحد - تقسيمهم التوحيد إلى الوهية، وربوبية، وأسماء وصفات؛ وبذلك فتحوا الطريق لفكرة المسلم المشرك، المسلم الموحد توحيد الوهية دون توحيد ربوبية أو العكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي حيل كلامية لا يعرفها الإسلام منذ أزهى عصوره، فهي بدعة سوء وتخريب ودمار))[٤].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص٢١٧ - ٢١٩).

(٢) خلاصة العقائد في الإسلام (ص٢٠).

(٣) محاضرة بعنوان: ((الانحرافات العقدية لخوارج العصر)) منشور على اليوتيوب.

(٤) الفروع الخلافية (ص٥٧).

وما يتعلق بالأسماء: فإنهم يرون أنها توقيفية، يقول محمد زكي الدين إبراهيم: ((أسماء الله التسعة والتسعون المشهورة، وغيرها من المأثور الوارد في القرآن والسنة ... أسماء الله توقيفية فلا يجوز أن نطلق عليه أسماء لم ترد في الكتاب أو السنة، وإن دلت على الكمال))[(١)].

وقال أيضاً: ((الصوفية يؤمنون بعظم كافة أسماء الله:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ سورة الأعراف: ١٨٠} بيد أن التفاضل في العظمة لا يجعل منها صغرى وكبرى، ولكن يجعل منها عظمى وأعظم منها، تدرجاً في مراتب الكمال المتعين في موضعه))[(٢)].

وأما الصفات: فإنهم برون أنها محصورة في عشرين صفة، والتي تعتبر أمهات وأصول لجميع الصفات الإلهية، وهي الواجب في حق الله تعالى؛ وعللوا ذلك بأنه إذا لم يتصف الله بها لاتصف بأضدادها، وهذا نقص والنقص عليه سبحانه وتعالى محال، وقد قسموها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول:الصفات النفسية، وأدخلوا تحت هذا القسم صفة الوجود؛ وعللوا ذلك بأن وجوده تعالى هو نفس ذاته.

القسم الثاني:الصفات السلبية، التي سلبت ونفت عن الله ما لا يليق به، وهي خمس صفات:صفة القدم، وعللوا ذلك بأن الله أزلي لا بداية لوجوده، ثم صفة البقاء، فالله أبدي قائم لا نهاية لوجوده،ثم صفة مخالفته سبحانه وتعالى للحوادث (أي للخلق) فلو شابههم الله في شيء لكان مثلهم، ويجري عليه ما يجري عليهم، ثم صفة قيامه بنفسه، أي عدم احتياجه إلى غيره في وجوده وتصرفات ألوهيته، فهو القيوم الذي قامت بقيوميته جميع الأكوان، ثم صفة الوجدانية، وهي عدم التعدد، فالله تعالى ليس معه إله، ولا ذاته مركبة من أجزاء، ولا نظير له في صفاته.

القسم الثالث:صفات المعاني، وهي سبع صفات القدرة، ووظيفتها الإيجاد والإعدام جميعاً، فلا مستحيل عليه تعالى، وما شاء الله كان، وهو على كل شيء قدير، ثم صفة الإرادة، ووظيفتها تخصيص الممكنات (المخلوقات) ببعض ما يجوز عليها على ما سبق علمه عدلاً وفصلاً، أي أنه تعالى هو المختار الفعال في كل ما ظهر وما بطن، فيما نرى وما لا نرى، وما علمنا وما لم نعلم، ثم صفة العلم، وهي صفة أزلية وجودية، بها تنكشف جميع الموجودات والمعدومات على ما هي عليه، انكشافاً ذاتياً

---

(١) خلاصة العقائد في الإسلام (ص ٢٠ - ٢١).

(٢) في رياض الاسم الأعظم لمحمد زكي إبراهيم (ص ١١).

إحاطياً إلهياً من الأزل إلى الأبد، ثم صفة السمع والبصر، وهما صفتان أزليتان وجوديتان تتكشف الموجودات بكل منهما انكشافاً سرمدياً مستقلاً مخصصاً غير انكشاف العلم، ثم صفة الكلام، وهو كذلك صفة أزلية وجودية، منزهة عن الحروف والأصوات، وهي دالة على جميع المعلومات الإلهية على مقتضى التنزيه الإلهي المطلق، ثم صفة الحياة، وهي صفة أزلية وجودية، لا تثبت جميع صفات الكمال إلا معها، وهي بالذات تستوجب صحة الاعتراف بكل كمال لله تعالى.

القسم الرابع:صفات الكونية، وهي سبع صفات، كونه قادراً، وكونه مريداً، وكونه عالماً، وكونه حياً، وكونه سميعاً، وكونه بصيراً، وكونه متكلماً[١].

فهم في هذا الباب على قول ساداتهم الشاذلية، وقد وافقوا بذلك قول الأشاعرة[٢]، قال ابن عليوة المستغانمي[٣]: ((يجب في حق الله تعالى كل كمال على الإجمال، وأما ما أوجبوا معرفته في حقه تفصيلاً فعشرون صفة، قسموها على أربعة أقسام: نفسية وسلبية ومعان ومعنوية، فالنفسية واحدة، وهي: الوجود، والسلبية خمس: وهي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس، والوحدانية والمعاني سبع، وهي:القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، والمعنوية سبع، وهي: كونه قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً))[٤].

وما عدا هذه الصفات كالوجه، واليد، والعين، والنزول، والاستواء، والفوقية، والفرح والضحك، والغضب، وغيرها، فإنها من الصفات المتشابهة الموهمة، والذي يجب فيها إما التأويل أو التفويض جمعاً بين قول السلف والخلف كما زعم محمد زكي الدين إبراهيم حيث يقول: ((جاء في القرآن الكريم والأحاديث الثوابت كلمات موهمة من صفات الله كالوجه،واليد، والعين، والنزول، والاستواء، والفوقية، والفرح والضحك، والغضب، وغيره، فبعض العلماء يؤولون هذه الألفاظ جميعاً بما يناسب الألوهية من المعاني، وبعضهم يطلقها جميعاً على أنها حقيقة في الذات، فاضطرب الأمر بين التشبيه والتنزيه، والتمثيل والتعطيل، أما العدل والإنصاف العلمي، فهو أن نتوسط، فنؤول ما لا محيص من تأويله، ونتقبل الباقي كما جاء منسوباً إلى الله على مراد الله،

---

(١) انظر: خلاصة العقائد الإسلامية (ص١٥ - ١٩).

(٢) انظر: أم البراهين في العقائد للسنوسي (ص٣- ٤)، ورسالة البحوري (ص ٤٠ - ٤٢).

(٣) هو أحمد بن مصطفى العلوي الجزائري، فقيه متصوف، ولد في مستغانم سنة ١٢٩١ه، وتوفي بها سنة ١٣٥٣ه، من مصنفاته: مبادئ التأييد في الفقه والتوحيد، ومنهاج القدسية. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٨).

(٤) مبادئ التأييد في بعض ما يحتاجه إليه المريد لابن عليوة المستغانمي (ص١٧ -١٨).

الذي لا يعلم ما هو إلا هو من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا علاقة بما يتصوره الناس، فإنه تعالى ليس كمثله شيء، وكل تصور له فهو حادث، والله منزه عن الحوادث، ويكفي أن نفوض معاني هذه الألفاظ إليه تعالى مع التنزيه المطلق جمعاً بين رأي السلف والخلف، وترك الإدراك هنا هو الإدراك))[١].

ومن خلال ما تقدم: نجد أن العشيرة المحمدية،أنكرت وجود قسم مستقل لتوحيد الأسماء والصفات، والظاهر من كلام رجال العشيرة المحمدية أنهم يدرجونه في توحيد الربوبية، وقد وافقوا قول متأخري الأشاعرة في هذا الباب، فأثبتوا عشرين صفة، وأما باقي الصفات فقد سلكوا فيها إما التأويل أو التفويض كما قرر ذلك رائد العشيرة المحمدية:((جاء في القرآن الكريم والأحاديث الثوابت كلمات موهمة من صفات الله كالوجه،واليد، والعين، والنزول، والاستواء، والفوقية، والفرح والضحك، والغضب، وغيره، فبعض العلماء يؤولون هذه الألفاظ جميعاً بما يناسب الألوهية من المعاني، وبعضهم يطلقها جميعاً على أنها حقيقة في الذات، فاضطرب الأمر بين التشبيه والتنزيه، والتمثيل والتعطيل، أما العدل والإنصاف العلمي، فهو أن نتوسط، فنؤول ما لا محيص من تأويله، ونتقبل الباقي كما جاء منسوباً إلى الله على مراد الله، الذي لا يعلم ما هو إلا هو من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا علاقة بما يتصوره الناس، فإنه تعالى ليس كمثله شيء، وكل تصور له فهو حادث، والله منزه عن الحوادث، ويكفي أن نفوض معاني هذه الألفاظ إليه تعالى مع التنزيه المطلق جمعاً بين رأي السلف والخلف، وترك الإدراك هنا هو الإدراك))[٢]، ولا شك أن قولهم مخالف لمذهب السلف؛ فإن السلف مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها كما جاء في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة والمجاز، ولا يكيفون شيئاً منها، فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله نفياً وإثباتاً، فيثبتون لله ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه[٣]، وأيضاً لا يفرقون بين الصفات، فجميع الصفات في باب واحد؛ لأن الموصوف بها واحد وهو الله جلَّ وعلا، فنقول لهم: فكما أنكم أثبتم أن له سمعاً وبصراً لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا على بقية الصفات كالاستواء والنزول والمجيء وغيرها من صفات الله جلَّ وعلا، ثم لا بد أن يعلموا أن الله جلَّ وعلا يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما فيه

---

(١) خلاصة العقائد في الإسلام (ص٢٢ - ٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٢ - ٢٥).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٥)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣).

محذور، أو يلزم منه محال، أو يؤدي إلى نقص كل ذلك مستحيل عقلاً؛ لأن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال، ما يقطع جميع علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾{ سورة الشورى: ١١[١]}.

ثم إن التأويل للصفات لا يلجئ إليه إلا من قصر فهمه أو فسد قصده، كما قال ابن القيم رحمه الله عندما بين الباعث من التأويل عند المتكلمين والصوفية: ((والمتأولون أصناف عدة بحسب الباعث لهم في التأويل، وبحسب قصور أفهامهم ووفورها، وأعظمهم توغلا في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كأن تأويله أشد انحرافاً، فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة؛ بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لشبهة عرضت له أخفت عليه الحق، ومنهم من يجتمع له الأمران الهوى في القصد والشبهة في العلم))[٢].

وأما التفويض الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد، بل يترك ويفوض علمه إلى الله عز وجل، فإن هذا ليس بمذهب السلف، بل عدوا من يسلك هذا المسلك أنه من أهل التجهيل والتضليل، قال ابن أبي العز الحنفي[٣] رحمه الله: ((وأما أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، ولا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ... ويظنون أن هذه طريقة السلف، ثم منهم من يقول: إنما المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد، كما لا يعلم وقت الساعة، ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها، وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة))[٤].

وبهذا يتبين أن سلوك منهج التأويل أو منهج التفويض هو من تخبطات رجال العشيرة المحمدية في باب الصفات، ومخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة القائم على إثبات ما

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (ص٣٧).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ١٩٣).

(٣) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ولد سنة ٧٣١ه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم مرة أخرى بدمشق، توفي سنة ٧٩٢ه. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (٤/ ١٠٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٢٠٨).

أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف، وأنه لا يتعدى القرآن والسنة في ذلك، يقول ابن تيمية رحمه الله عن تخبط أمثال هؤلاء في باب الصفات: ((ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل كما فعل ابن فورك وأمثاله في الكلام عن مشكل الآثار، وتارة يفوضون معانيها ويقولون: تجرى على ظواهرها كما فعل القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك، وتارة يختلف اجتهادهم فيرجحون هذا تارة وهذا تارة، كحال ابن عقيل وأمثاله، وهؤلاء قد يدخلون في الأحاديث المشكلة ما هو كذب موضوع، ولا يعرفون أنه موضوع، وما له لفظ يدفع الإشكال، مثل أن يكون رؤيا منام، فيظنونه كان في اليقظة ليلة المعراج))(١).

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٣٥).

الفصل الثاني

آراء العشيرة المحمدية في الولاية والكرام

المبحث الأول: الولاية ومراتب الأولياء عند العشيرة المحمدية

الولاية في اللغة: مأخوذة من الفعل الثلاثي«ولي » يقال: ولي الشيء وولي عليه وَلاية وولاية، والواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولْي، أي: قُرْب، وجلس مما يليني، أي: يقاربني[١].

أما معناها في الاصطلاح: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الولاية، لكن كلها تدور حول معنى الحب والقرب والنصرة والطاعة، والتقوى، فعرفها الإمام ابن تيمية رحمه الله بقوله :((والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، وقد قيل:إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات، أي متابعته لها، والأول، أصح، والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه))[٢].

وعرفها الإمام الطبري رحمه الله بقوله: ((الولي هو من كان بالصفة التي وصف الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ {سورة يونس: ٦٣ }[٣].

وأما معنى الولاية عند الشاذلية: فيعرفها ابن عجيبة بقولة: ((هي حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها: تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات، فيبقى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل، فأولها التمكن من الفناء، ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء، ويبقى الترقي والاتساع فيها أبداً سرمداً))[٤].

ويعتبر الحكيم الترمذي هو أول من تكلم بالولاية وذلك في القرن الثالث الهجري، وألف في ذلك بعض الكتب ومنها :«ختم الولاية»، وكتابه« سيرة الأولياء »، وكتابه:« عمل الأولياء »، وزعم فيه أن خاتم الأولياء يكون في آخر الزمان، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء، وأفضل من أبي بكر وعمر،وزعم أن الولاية أفضل من النبوة، ثم تبعه بعد ذلك ابن عربي فألَّف في ذلك: « الفتوحات المكية »،

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٤١) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (ص١٧٣٢).

(٢) مجموع الفتاوي (١١/ ١٦١)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (١/ ٩).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (١٥/ ١٢٣).

(٤) معارج التشوف إلى حقائق التصوف لابن عجيبة (ص ١٦).

« والفصوص»، فخالفوا بذلك الشرع والعقل مع مخالفتهم لأنبياء الله وأوليائه[1]، قال ابن تيمية رحمه الله: ((تكلم أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتاب ختم الولاية بكلام مردود مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة حيث غلا في ذكر الولاية وما ذكره من خاتم الأولياء وعصمة الأولياء ونحو ذلك مما هو مقدمة لضلال ابن عربي وأمثاله الذين تكلموا في هذا الباب بالباطل والعدوان))[2].

والولاية عند الصوفية من الأصول التي يقوم عليها الفكر الصوفي، بل وتحتل مكانة عظيمة، فهي بوابة التصوف العظمى، وأساسه ولبه، ويرون أن أهل التصوف هم أهل الولاية الحقة، يقول الحكيم الترمذي[3]

في بيان مكانة الولاية عند الصوفية: ((فاعلم أن أساس التصوف والمعرفة قائم على الولاية))[4]، ولها مفهوم مغاير عن مذهب السلف، فهي عندهم على قسمين:

القسم الأول: الولاية الخاصة، وهي نوع من الوهب الإلهي، وتحصل للمريد دون سبب وبغير حكمة، وهي خاصة بأهل الفناء والبقاء، الجامعين بين الحقيقة والشريعة، مع الزهد التام والمحبة الكاملة، وقد ضلوا في هذه القضية فجعلوا من لا يستحق الولاية من أهلها وروادها فادخلوا في ذلك الفسقة والظالمين،وأهل وحدة الوجود،وزعموا أن الولاية لا تكون إلا لأهل التصوف، فالولي يرث من النبي ﷺ كافة العلوم، والمحبة الطاعة، والإلهام[5].

القسم الثاني: الولاية العامة، وهي التقرب إلى الله بفعل الطاعات وترك المنكرات، وأن الطاعة من أسباب الولاية، وأن المحرمات مانعة منها، وهذه الولاية لا تمثل خواصهم، وإنما هي للعوام وعموم المسلمين[6].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٢)، ومجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ٥٩)، وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي لدمشقية (ص٤٨)، ومعجم اصطلاحات الصوفية للحفني (ص٥٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٧٣).

(٣) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، من كبار مشايخ التصوف في خرسان، وهو أول من تكلم بالولاية وخاتم الأولياء والتي لم يسبقه بها أحد، ومن أهم مصنفاته في هذه المسألة كتاب: « ختم الولاية »، و«كتاب علل الشريعة »، وقد ذكر في تلك الكتب، وغيرها ما يخالف الكتاب والسنة والإجماع،ومن ذلك قوله: إن الولاية أفضل من النبوة، وبسبب هذه المقولة أخرج من ترمذ، وشهد عليه أهلها بالكفر، توفي الحكيم الترمذي سنة ٣٢٠هـ. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٧٨).

(٤) انظر: أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي (ص٤٨).

(٥) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لدمشقية (ص٢٢١ - ٢٢٨).

(٦) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد لناصر العتيبي (١٠٣٠/٣).

وقد بين ابن عجيبة هذه التقسيم، فقال في ذلك: ((الولاية على قسمين: ولاية عامة، وولاية عرفية خاصة، فالولاية العامة: هي التي ذكرها الحق تعالى، فكل من حقق الإيمان والتقوى فله من الولاية على قدر ما حصل منها، والولاية الخاصة بأهل الفناء والبقاء الجامعين بين الحقيقة والشريعة، بين الجذب والسلوك مع الزهد التام والمحبة الكاملة، وصحبة من تحققت ولايته))[1].

وقال في موضع آخر: ((وتطلق - الولاية - على ثلاث مراتب: ولاية عامة: وهي لأهل الإيمان والتقوى، كما في الآية وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾سورة يونس:٦٢ - ٦٣ }، وولاية خاصة: وهي لأهل الاستشراق على العلم بالله، وولاية خاصة الخاصة: وهي لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العيان))[2].

وقد سارت العشيرة المحمدية على طريقة أسيادهم الشاذلية، مع الاختلاف في الطريقة والأسلوب، فهذا محمد زكي إبراهيم يقسم العارفين إلى قسمين، قسم حصلت له الولاية عن طريق الاجتباء، وهو مقام أهل الخاصة، وهو أعلى المقامات، ومنهم من حصلت له الولاية عن طريق الاهتداء، وهو مقام أهل العموم، يقول في ذلك: ((**الأول:** طريق الاجتباء: وهو من فيوضات الفضل الإلهي، وهو تعالى لا يسأل عما يفعل، ولكل شيء منه تعالى حكمته، والاجتباء معناه الاختيار، فهو يصطفي من عباده من يشاء، فيفيض عليه ما يشاء من فضله في ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ {سورة الزخرف: ٥٩ }، والاجتباء مقام المحبوبية؛ لأنه يبدأ منه تعالى تكرماً على عبده المجتبى، فهو أهل آية: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾{سورة المائدة:٥٤ } أي: يحبونه تعالى بحبهم لهم، إذ كان البدء هنا من مقام الرضا: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ {سورة المائدة: ١١٩ }، والرضا من منابع الحب بدأ من أعلى ليستقر حيث يشاء الله في أدنى، وهذا المقام من أعلى المقامات عند الصوفية؛ لأن صاحبه أغلب ما يكون في رحاب البسط والرجاء على بساط المواهب والعطايا والنظرة والمدد، وكل الأنبياء من مقام الاجتباء والاصطفاء، فهو من مواريث النبوة الغالية،**الثاني:** مقام الاهتداء: وهو مقام العموم، وإلى أهله يتوجه خطاب الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والسلوك إلى الله فيه من باب العمل والجهد والرياضة، والانضباط، والمراقبة، والذكر والفرار،

(١) البحر المديد (٢/ ٤٨٤).

(٢) معارج التشوف إلى حقائق التصوف (ص ٣٢).

ولأنه يبدأ من العبد، أي: من أدني فصاحبه من أهل آية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾{ سورة البقرة: ١٦٥}، ولهذا أغلب ما يكون صاحب هذا المقام على بساط الخوف والقبض، والتوقيع والاحتياط، فإن باب الهداية هو الإنابة كما جاء في الآية: ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾سورة الشورى: ١٣ }، والإنابة عمل والتزام وعزيمة، وقد يصل العبد من طريق الاهتداء إلى رحاب الاجتباء، فيجمع له بين الفضلين، ويذوق حلاوة: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾{ سورة البلد:١٠ } وهذا هو مقام الحبية، مقام: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾{ سورة التوبة: ١٠٥ }، ﴿ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾{ سورة التغابن: ١٦ }، والعبد في مقام الحبية والمحبوبية يمضي في ظـــــــــــلال: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ { سورة ص: ٣٠}، فمن لم يكن هنا أو هناك فهو هالك مع الهالك، وليس ذلك كذلك، وهكذا نجد جميع أهل الأرض بين طرفي إرادة الاجتباء والاهتداء، والله يفعل ما يشاء))[١].

وقال عن أهل الولاية الخاصة في أثناء كلامه على درجات العارفين،: ((والعلم بهذه الدرجات ليس مشاعاً ولا مباحاً، ولكنه مخصوص بأهله، أهل الكشف والشهود، وهم قلة نادرة، شأنها الأدب مع الله بالكتمان، والقيام بين مرتبتي الخوف والرجاء، بلا دعوى ولا دعايات ... وإنما صاحب العلم بالدرجات ما نحها ومعطيها ربنا سبحانه، والتهجم على علمه المكنون سوء أدب، والحكم على غير المعروف زور، وشهادة على الله بغير يقين، ومن هنا وجب التحفظ والاحتياط كل التحفظ والاحتياط في القول بتفضيل شيخ على شيخ، أو ولي على ولي إلا بعلم يقين، وهيهات هيهات، فقد يوجد اللؤلؤ في المحار، ولا يوجد في بطن الحوت الجبار))[٢].

وبين في موضع آخر مقام الولاية الخاصة، وأنها تأتي لطائفة روحية ربانية من أهل السلوك اجتباء واختيار من الله، وطريقها الكشف والإلهام والأذواق والمواجيد، وهذا لا يتعارض مع الكتاب والسنة، وأن هذا المقام لا يكون عائقاً أمام السالك في القروب والوصول إلى الولاية العامة؛ بل إن الاشتغال به قد يكون من معوقات السير إلى الله، يقول حول هذه القضية: ((هذا الباب أصله الكشف والإلهام، ومقامات الشهود والشفافية في رياض الأذواق والمواجيد على ما قدمناه في الباب السابق من قوانين، ثم إن تصديقه أو التوقف فيه أو تركه ليس بذي بال، فإنما هو خاص بطائفة روحانية من أهل

(١) أصول الوصول (ص١٧٢ - ١٧٣).

(٢) أصول الوصول (ص١٧٠).

السلوك؛ بل ليس هو شرطاً في سلوك ولا قرب ولا وصول، فلعل الانشغال به يكون من معوقات السير إلى الله، ثم هو لا يتعارض مع كتاب ولا سنة، ولا مع معلوم من الدين بالضرورة، فهو من العفو المباح لمن جاهد فشاهد، ولمن أحسن الظن بأهله فصدقهم))(١).

وبين في موضع آخر الولاية الخاصة، وأنها لا تتحقق إلا بشرطين: الإيمان والتقوى، وأن يكون الولي صالحاً للنيابة عن النبيﷺ، وهي اجتباء واصطفاء، وأن هذا لا يتعارض مع مبادئ الإسلام، فيقول في ذلك: ((والشرط في الولي الإيمان والتقوى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾{سورة يونس: ٦٣ }، ثم الصلاحية للنيابة عن حضرة النبي ﷺ: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾{سورة الأعراف: ١٩٦ } فالصلاح هنا بمعنى الصلاحية التي تستوجب كفاية معينة في الجوانب الثقافية والروحية والتعبدية حتى يكون العبد أهلاً للتبليغ والدعوة وسيادة البشرية: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾{ سورة الأنبياء: ١٠٥ }، وهنا ينكشف البون الهائل ما بين الولاية والبلاهة، وما بين الولاية والاحتراف، وأن الولاية كسب غال بمجهود أعلى، أو هي اجتباء بحكم المشيئة، كما جاء بالآية: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾{سورة الشورى: ١٣ }، وتعيين رجل توافرت فيه الشروط بوصف الولاية لا يتعارض مع مبادئ الإسلام فيما أعرف))(٢).

ويبين في موضع آخر أن الولاية هبة ووظيفة إلهية، فيقول في ذلك: ((قد قرر القرآن أن للولاية مواصفات وعلامات، فمن تحققت فيه هذه العلامات فهو ولي لله بالنص القرآني: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾، {سورة يونس: ٦٢ - ٦٣ }، وفي الآية: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فإذا تحصل الإيمان والتقوى والصلاحية، تحصلت الولاية، وللإيمان والتقوى والصلاحية شارات وعلائم، ولها روائح وملامح معروفة بين الناس))(٣).

وكذلك الدكتور محمد مهنا يقسم الولاية إلى قسمين: ولاية الشهود والعيان (الولاية الخاصة)، وولاية الدليل والبرهان (الولاية العامة)، فقال في ذلك: ((وإن شئت قلت ولاية دليل وبرهان، وولاية شهود وعيان، الدليل البرهان لأهل العلم والمعرفة القائمين لله بالحجة، ولا تخلوا منهم الأرض من قائم بالحجة، وولاية الشهود والعيان، وهؤلاء

(١) أصول الوصول (ص١٨٥).

(٢) كلمة الرائد (٥/ ١٨٤ - ١٨٥)، وانظر: أبجدية التصوف (ص٣٦ - ٣٧).

(٣) كلمة الرائد (٥/ ٢١٤).

أهل الخصوص، ولكن برهانهم هو شـــهود ومعاينـــة وعيـــان، ولـــيس مجـــرد دليـــل وبرهان))[1]

وله اصطلاح آخر في تقسيم الولاية وذلك أثناء حديثه عن الولاية، فقد قسمها إلى ولاية كبرى (الولاية الخاصة)، وولاية صغرى (الولاية العامة)، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾{سورة المائدة: ٥٦}، فيرى أن هناك « قوماً تولاهم الله » وهذه هي الولاية الكبرى، « وقوم تولوا الله »وهذه هي الولاية الصغرى، وأن المقصود بقوله تعالى:﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أهل الولاية الخاصة أي: أهل حضرته سبحانه وتعالى من الأنبياء والمرسلين وكبار الأولياء، وهو معنى قوله تعالى عن يوسف ؑ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾{سورة يوسف: ١٠١ }[2].

والولاية عند الصوفية على مراتب: والهدف من وضع هذه المراتب؛لأجل بيان طبقات الصوفية، وإبراز مكانتهم، وقدرهم، واصطفائهم على الخلق، ولبيان أن أصحاب هذه المراتب هم خواص الله في أرضه، وأنهم الرحمة في البلاد على العباد، وهم أهل الحل والعقد، وهم القادة المكلفون من عند الله عز وجل، وتختلف هذه المراتب عند الصوفية في التسميات، والأعداد، وترتيب المستويات، وكلها صحيحة ومعتبرة عندهم؛ فهي راجعة إلى نسب المقامات والإفاضات، وراجعة إلى مستوى الناظر وزاوية المنظور[3]، وهي عند العشيرة المحمدية تسع مراتب كما بينها رائد العشيرة في عدة مواضع من كتبه، وهي على الترتيب الذي ذكروه في مصنفاتهم ومقالاتهم:

١- **القطب الغوث**، (أو ما يسمونه الفرد الجامع، والختم الأعظم، والموعود المنتظر): وهذه من أعلى المراتب التي يصل إليها الصوفي في مقام الولاية، ومن صفات الغوث أن يمنح الهبات اللدنية الإلهية، والمزايا الربانية؛ لأن فطرته قد تهيأت على الإحسان حتى حصل له التحصين والعناية من الله بعدم الميل إلى مقتضى البشرية، ولو إلى ما لابد منه لقوام الهيكل الإنساني[4]، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة:

---

(١) برنامج الطريق إلى الله على قناة الناس بعنوان: « الولاية » منشور على اليوتيوب.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: موسوعة الفرق للحفني (٧/ ٤١١)، وروضة التعريف لابن الخطيب (ص٤٣٢)، وكشف المحجوب للهجوري (ص٤٤٧ - ٤٤٨)، وأصول الوصول لمحمد زكي إبراهيم (ص١٩٦ - ١٩٧).

(٤) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية (ص٤٢٥).

((الغوث الأعظم، والفرد الجامع، الذي هو على قدم النبي ﷺ ومجاله الروحي حول العرش، والمجال الروحي شيء غير المجال البدني، ومحل الإقامة الجسدية))[1].

وقال في موضع آخر عن هذه المرتبة: ((أما القطب الغوث، الفرد الجامع، والختم الأعظم، والموعود المنتظر، فهم على القدم المحمدي الأقدس، الذي لم يسبقه قدم إلى الدرجة الرفيعة، ليلة المعراج، ولن يلحقه قدم في المقام المحمود يوم القيامة، ثم إن رتبة الغوثية تستغرق رتبة الخضرية، وهي مرتبة الصديقية فيما نرجحه ونختاره،وإن كان بعض السادة يفرق بين درجة الصديقية والخضرية، وعلى كل فهما مدمجتان في طريق الغوثية العظمى، وصاحبها هو القائم الظاهر المشهود))[2].

٢- **الإمامان:** وهما شخصان أحدهما عن يمين الغوث، ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى في المرتبة من صاحبه الذي يكون يمين الغوث، وهو الذي يخلف الغوث[3]،يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم الإمامان، وهما وزيرا القطب عن يمينه وشماله، ومجالهما الروحي طرفي الفرش- الفرش بالفاء ما دون العرش بالعين - على قدم رضوان ومالك))[4].

٣-**الأوتاد:** وهم عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على أربعة أركان من العالم، في الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، ولكل واحد منهم مقام الجهة التي يملكها[5]، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم الأوتاد، وهم الأقطاب الأربعة الكبار مع خاصتهم، ومجالهم الروحي الجهات الكونية الأربع ، وهم على أقدام جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل))[6].

٤- **الأبدال السبعة:** وهم عبارة عن سبعة بدلاء، ومهمتهم أنه إذا سافر أحد من الصوفية، فإنه يكون بدلاً عنه بصورة جسده؛ حتى لا يعرف أنه فقد، وهؤلاء البدلاء هم على قلب إبراهيم عليه السلام[7]،يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم الأبدال السبعة، ومجالهم الروحي السبع الطبقات))[8].

---

(١) أصول الوصول (ص١٩٥)، وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

(٢) كلمة الرائد (٣/ ٥٧٦).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص١٥٤).

(٤) أصول الوصول (ص١٩٥)، وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

(٥) التعريفات للجرجاني (ص١٥٤).

(٦) أصول الوصول (ص١٩٥)،وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

(٧) التعريفات للجرجاني (ص١٥٤).

(٨) أصول الوصول (ص١٩٥)، وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

ويرى في موضع آخر أن هؤلاء الأبدال هم الممهدون لخروج المهدي في آخر الزمان، ويذكر في ذلك أحاديث إما ضعيفة، أو أحاديث بعيدة عن تأويلهم الفاسد، وينكر على المخالفين لهم في هذا القول، ويصفهم بأقبح الأوصاف، فيقول في ذلك: ((وأولئك هم الذين يسميهم اصطلاح السادة الصوفية الأبدال، وإمامهم صاحب الوقت، وفي الحديث الثابت:«إنما ترزقون وتنصرون بضعافكم»(1)، وإنما يتحدث الأئمة النورانيون، والأقطاب الإلهيون مع الناس بما يطيقون، وقد يكتفون بالإشارة حين تتهم العبارة، وتضيق بها القلوب الغلف، والألباب المغلقة، والألسنة اللزجة بالبذاءة، وبهت الناس باسم السنة المظلومة .. فكذلك شأن الأئمة المجددين، والأقطاب الوارثين الممهدين للمهدي، يحدثون الناس في شأنه بما يطيقون حتى لا يكذب الله ورسوله، وشر الجهل ما كان عن علم وشر العلم ما كان عن هوى،وشر الهوى ما كان لغير الله، ففيه عمى البصر والبصيرة جميعاً، والشؤون الروحية لطائف ونفحات، لا تتأتى إلا مع السمو والربانية))(2).

٥- **النقباء الاثناء عشر:**وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس(3)، وعددهم عند العشيرة المحمدية إثنا عشر، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم النقباء الاثنا عشر، ومجالهم الروحي البروج السماوية الاثناء عشر))(4).

٦- **النجباء:**وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا يتصرفون إلا في حق الغير(5)، وعددهم عند العشيرة المحمدية سبعون، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم النجباء السبعون، وهم أهل الخلوة والميقات، ومجالهم الروحي الأفلاك والمجرات))(6).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٦٠)، عن أبي الدرداءﷺ، بلفظ: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((أبغوني ضعفاءكم، فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم))، حديث رقم ٢١٧٣١، والترمذي في السنن (٣/ ٢٥٨)، في أبواب الجهاد، باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين، حديث رقم ١٧٠٢، قال الترمذي: ((حديث حسن صحيح)).

(٢) كلمة الرائد (٥/ ٢٧٦- ٢٧٧).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص١٥٤).

(٤) أصول الوصول (ص١٩٦)،وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

(٥) التعريفات للجرجاني (١/ ٢٤٠).

(٦) أصول الوصول (ص١٩٦)، وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨٠).

٧- **الأخيار:** وهم الحواريون، وأهل المعراج، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم الأخيار، وهم الحواريون وأهل المعراج، وعددهم بين الثلاثين والثلاثمائة، ومجالهم الروحي أقطار الأفق الأعلى))[١].

٨- **المفردون:**وهم الأولياء المختارون من صالحي الأمة، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم المفردون، وهم الأولياء المختارون من صالحي الأمة، وهم الخمسمائة والثلاثمائة، ومجالهم الروحي الأفق الأدنى وأقطار المدن والقرى))[٢].

٩- **الصالحون:** وهم أتقياء الأمة، يقول محمد زكي إبراهيم عن هذه المرتبة: ((ثم الصالحون، وهم أتقياء الأمة وهم درجات شتى، ومجالاتهم الروحية متعددة))[٣].

ويرون أن لكل صاحب مقام من هذه المقامات التسعة خلفاء وعرفاء، وأن هذه المقامات محفوظة بأرواح كل من سبق من أهل الله، يقول محمد زكي إبراهيم حول هذه القضية: ((ثم إن لكل صاحب مقام من هذه المقامات خلفاء وعرفاء، فإذا خلا المقام انتقل إليه الخليفة، ثم ارتفع العريف إلى رتبة الخليفة، واختير من المستوى الثاني ومن أهل المعرفة وهكذا ... وعندنا أيضاً أن كل مستوى من هذه المستويات محفوظ بأرواح من سبق أن شغله من أهل الله السابقين، وعلى هذا فإن شاغله من الأحياء يعتبر ممثلاً للأرواح التي سبقته إلى هذا المقام، فهي تحوطه، ومنها يستمد الكثير من السر والإفاضة))[٤].

ثم إن العشيرة المحمدية يرون أن الأقطاب موجودون في كل عصر وفي كل زمن، وليس محصوراً في الأقطاب الأربعة المشهورين:(أحمد الرفاعي، وعبدالقادر الجيلاني، وأحمد البدوي، وإبراهيم الدسوقي)، يقول رائد العشيرة المحمدية حول هذه القضية: ((قصر المقامات الأربعة على أصحاب الأسماء الأربعة الشهيرة،وإغلاق الباب بعدهم دون سواهم يحتاج إلى وقفة كبرى؛ فإن التحدي الصوفي الواقعي أن يضاف لفظ (أشهر) إلى أسماء السادة الأربعة، ويكون المعنى أنهم رضي الله عنهم من أشهر من تولى هذه المقامات كل في عصره، وخصوصاً أن الأربعة المشاهير لم يكونوا في عصر واحد ... لماذا لا يكون في عصرنا هذا رجال يشغلون بعض هذه المقامات الأربعة فعلاً وبالذات، وإن لم تكتب لهم الشهرة، وهم يستمدون من أرواح كل من شغل

---

(١) المصدر السابق (ص١٩٦)، (٣/ ٥٨٠).

(٢) أصول الوصول (ص١٩٦)، وانظر: كلمة الرائد (٣/ ٥٨١).

(٣) المصادر السابقة (ص١٩٦)، و (٣/ ٥٨١).

(٤) أصول الوصول (ص ١٩٦ - ١٩٧).

قلبه مكانهم إلى قدم الملك العظيم، كما هو مقر عند الساده، إن هذه المقامات لا تزال بفضل الله مشغولة بأهلها في كل عصر وكل زمن، كلما انتقل منهم إلى الله سيد، إماماً بعد إماماً على ترتيب خاص، أشارت إلى بعضه أحاديث نبوية، وفصلت إجماله مدارك أهل الشهود والمكاشفة في منازل القرب والسير إلى الله))[١] .

هذه عقيدة العشيرة المحمدية في الولاية، ومراتب الأولياء، وقد شملت على مغالطات كبيرة، وعقيدة فاسدة، مخالفة لعقيدة السلف الصالح، وبيان ذلك في الأمور الآتية:

أولاً: العشيرة المحمدية لم تخرج عن ساداتهم الشاذلية في تقسيم الولاية إلى ولاية خاصة، وولاية عامة، وهو تقسيم بدعي ما أنزل الله به من سلطان؛ لأنهم أخرجوا مصطلح الولاية عن معناه الشرعي، فالأصل في الولاية أنها مرتبة عظيمة من الدين لا ينالها إلا من تمسك بالدين كما أمر الله عز وجل، وتمسك بسنة النبي ﷺ، والتزم الشريعة ظاهراً وباطناً، فإن علماء الأمة جعلوا المعيار في الولاية هي الشريعة، فجميع الأولياء مفتقرون إلى الكتاب والسنة ولا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول،فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل،فمن فعل ذلك فهو من أولياء الرحمن الصادقين، ومن خرج عن ذلك فهو من أولياء الشيطان الرجيم، فالولاية الصحيحة تقوم على أساس التقوى والقيام بأمر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ثم التدرج في مراقي العبودية بالنوافل وسائر الطاعات، وبالتالي تحصل لهذا العبد محبة الله ونصرته وهدايته، وتثبيته على الطاعة[٢].

قال الإمام الألوسي رحمه الله: ((وأحسن ما يعتمد عليه في معرفة الولي: اتباع الشريعة الغراء وسلوك المحجة البيضاء، فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي ولو أتى بألف ألف خارق، فالولي الشرعي أعز من الكبريت الأحمر ولا حول ولا قوة إلا بالله))[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((المراد بولي الله هو العالم بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته))[٤].

---

(١) أصول الوصول (ص١٩٢ - ١٩٤)، وكلمة الرائد (٣/ ٥٧٧ - ٥٧٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٢٧)، ومقدمة تحقيق كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي تحقيق الدكتور: أحمد بن مسعود بن حمدان (ص٨٠)، ومقال: «مقام النبوة والولاية عند الصوفية» للمرابط الشنقيطي على الشبكة العالمية.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي (٦/ ١٦٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٤٢).

ثانياً: ما يذكره الصوفية من الأسماء والمراتب والأعداد،مثل الغوث،والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، ونحوها، هذه لم ترد في كتاب الله، ولا هي مأثورة عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روي فيه حديث؛ لكنه منقطع الإسناد، وأيضاً هذه الأسماء والمراتب والترتيب والأعداد لا توجد في كلام السلف، ثم إن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقاً في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل، فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى ويقل فيهم السابقون المقربون تارة، ويكثرون أخرى، وينتقلون في الأمكنة، فليس من شرط أولياء أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل منهم في السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة، وقد بعث الله ورسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة، ثم أقل من أربعين، ثم أقل من سبعين، ثم أقل من ثلاثمائة، فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد، ثم إن هذه الأسماء والمراتب ولأعداد فيها مشابهة للشيعة؛ فإن الصوفية أخذوها من الشيعة الذين يرون أنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به، وأيضاً هو يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان(١)، قال ابن خلدون رحمه الله في مشابهة الصوفية للشيعة في هذه المسألة: ((وظهر في كلام المتصوفة القول في القطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سيناء في كتاب لإشارات في فضول التصوف منها، فقال:«جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد»، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة، ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء))(٢).

وقال أحمد أمين المصري: ((أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة، وسمته قطباً، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٣) و (١١/ ٤٣٩)، ومجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٤٦).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٦٢٠).

الإمام أو المهدي في التشيع، والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض، ويلي القطب النجباء، قال ابن عربي في الفتوحات المكية: وهم إثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات ... واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس، وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، وإبليس مكشوف عندهم، يعرفون منه ما يعرفه من نفسه، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل العلماء بالآثار والقيافة))[1].

ثالثاً: أما ما ورد عن بعض أهل العلم من إطلاق بعض من هذه الألفاظ على بعض الأولياء، فإنما أرادوا بذلك معناها الشرعي، فهم يقصدون به العلم والإيمان، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وليس الأمر كما يدعيه الصوفية أنهم يحكمون العالم، ويتصرفون في الكون، ويعلمون الغيب، وفرق بين المعنى الذي قصده أهل العلم وبين المعنى الذي قصده الصوفية، قال ابن تيمية رحمه الله: ((وأما الأوتاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الأوتاد، ومعنى ذلك: أن الله يثبت به من الدين والإيمان في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الأرض بأوتادها، وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة، فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة، ومن كان دونه كان بحسبه، وليس ذلك محصوراً في أربعة ولا أقل ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الأرض،وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضاً: فلان من الأقطاب، وفلان قطب، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطناً أو ظاهراً فهو قطب ذلك الأمر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطناً أو ظاهراً، ولا اختصاص لهذا معنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر، لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا، وهذا هو القطب في عرفهم، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقاً ...))[2].

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين (ص٢٤٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٣ - ٤٤٤)، ومجوع الرسائل والمسائل (١/ ٤٦).

رابعاً: اشتملت بعض هذه المراتب ألفاظاً تحتوي على الشرك مثل لفظ « الغوث»قال ابن تيمية رحمه الله في ذلك: ((فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك))(١).

المبحث الثاني: الكرامات وأقسامها عند العشيرة المحمدية

الكرامة في اللغة:((الكرم محركة ضد اللؤم ... وأكرمه وكرمه عظمه ونزهه))(٢).

وفي الاصطلاح:((هي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يدي ولي من أوليائه، معونة له على أمر ديني أو دنيوي))(٣).

والناس في الكرامات على أقسام ثلاثة:

القسم الأول:الذين اعتدلوا، فلا ينكرون الكرامات، ولا يعتبرون كل خارق كرامة، وأن صاحبه وليًّا لله، بل إنهم يقيدون ذلك بقيود وضوابط توضح حقيقة الأمر، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، فمن أصول عقيدتهم التصديق بكرامات الأولياء، وما يجريه الله سبحانه وتعالى على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، وهي مأثورة عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وهي موجودة في الأمة في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ وهي حاصلة للمتقين المقتدين بالنبي ﷺ والذين يفعلون ما أمر به، وينتهون عما نهى عنه وزجر(٤)، والأدلة على ذلك مأثورة معلومة(٥).

القسم الثاني:الذين كذبوا بوجود الكرامات، وخوارق العادة؛ وعللوا ذلك بأن خوارق العادة لا تكون إلا لأنبياء فقط، وهذا الذي عليه أكثر المعتزلة، قال ابن تيمية رحمه الله: ((فقالت طائفة لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم؛ كأبي محمد بن حزم، وغيره))(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: القاموس المحيط (١/ ١١٥٣)، وانظر: تاج العروس للزبيدي (٣٣/ ٣٣٥ - ٣٣٧).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (١/ ٢٥٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٧٤ - ٢٧٥)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (١/ ٢٥٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٦ - ٢٨٢).

(٦) النبوات لابن تيمية (١/ ١٣٠).

القسم الثالث: التصديق بكل من كان له نوع من خرق العادة وجعله من أولياء الله، بدون ضوابط أو حدود، وليس هناك فرق بين الكرامة المعجزة إلا بدعوى النبوة فقط، وهذا قول الأشاعرة، وتبعهم على ذلك الصوفية، حيث إن الصوفية استغلت الكرامة الثابتة بالكتاب والسنة، وبالغوا في إثباتها حتى وصل بهم الأمر أنهم جعلوا الأولياء من جملة الأصنام والأوثان، ووصفوهم بأنهم كالإله يقول للشيء: كن فيكون[١]، وعلى هذا الأساس فإن الكرامة التي يتحدث بها أهل السنة غير الكرامة التي يتحدث بها الصوفية، فإن هذا شيء وذاك شيء آخر، حتى أصبحت الكرامة من أهم أولويات الفكر الصوفي، وخاصة في القرن السابع الهجري، والسبب في ذلك يرجع لسقوط الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ)، واستقلال كل قطر منها وانفصاله عنها، فأصبح لكل قطر قطب وأولياء، وأصبح الولاة يزورون قبور الأولياء، وتشاع عنهم الكرامات الحاصلة لهم بعد موتهم، مما جعل للأولياء مكانة في قلوب الناس، حتى أصبح ضريح ذلك الولي مزاراً وموسماً يجتمع عنده الألوف من الزائرين الذين يبذلون القربات والنذور.

ومما ساعد في نشر الكرامات المزعومة في أوساط المجتمع في هذا القرن، مخالطة شيوخ الصوفية وإشهار أنفسهم بين الولاة وعامة الناس، بواسطة التكايا والحلق الصوفية، ويكثرون من اتخاذ الأتباع والمريدين، والذين تولوا بدورهم نشر كراماتهم المزعومة، والذي لم يكن معروفاً في الصوفية المتقدمين[٢].

والعشيرة المحمدية سارت في مسألة كرامات الأولياء على نهج ساداتهم الصوفية، وسيكون الكلام في هذا المبحث عن تعريف الكرامة عند العشيرة المحمدية، وأهم أقسامها، وأهم الاعتقادات الباطلة التي أثبتوها من خلال كرامات الأولياء، مع المناقشة والنقد.

فالكرامة في اصطلاح الصوفية: عرفها المناوي بقوله: ((الكرامة: ظهور أمر خارق للعادة على يد ولي، مقرون بالطاعة والعرفان، بلا دعوى نبوة))[٣].

وعرفها رائد العشيرة المحمدية محمد زكي إبراهيم بقولة: ((الكرامة في الإسلام: هي أمر خارق للعادة، غير مقرونة بالتحدي، أي: دعوى النبوة)) [٤].

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني (ص٢٥٢وما بعدها)،ونهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص٤٩٧ - ٤٩٨)، والانصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف للصنعاني (ص٤١).

(٢) انظر: المتواليات دراسات في التصوف ليوسف زيدان (ص٥٥- ٥٧).

(٣) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (١/ ٥).

(٤) أصول الوصول (ص٢١٥).

ويُستدرك على هذا التعريف تقييد الكرامة بعدم التحدي، وهذا القيد غير مسلم به؛ لأن معجزات الأنبياء هي آيات وإن لم يتحدوا بها، فمنها ما أيد الله به نبيه دون تحدي، ومنها ما جاء بعد التحدي، فاشتراط التحدي بالمعجزة النبوية مطلقاً غير صحيح، وبالتالي فإن اشتراط عدم التحدي بالكرامة غير صحيح أيضاً؛ لكونها نتيجة بُنِيتْ على مقدمة باطلة[١]، قال ابن تيمية حول هذا الموضوع: ((وأما الرابع وهو أن يكون عند تحدي الرسول فيه، يحترزون عن الكرامات وهو شرط باطل؛ بل آيات الأنبياء آيات وإن لم ينطقوا بالتحدي بالمثل، وهي دلائل على النبوة، وصدق المخبر بها))[٢].

وقال أيضاً: ((ومما يلزم أولئك أن ما كان يظهر على يد النبي ﷺ في كل وقت من الأوقات ليس دليلاً على نبوته؛ لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به، وتحدى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة، ولا نقل التحدي عن غيره من الأنبياء مثل موسى والمسيح وصالح؛ ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل معارضتهم)) [٣].

ثم إن التحدي بالكرامة أمر واقع؛ فإن الناظر إلى واقع بعض الكرامات التي أجراها الله على بعض أوليائه فيها من التحدي؛ خاصة إذا كان فيها مصلحة شرعية كإحقاق الحق ودحض الباطل، قال ابن تيمية رحمه الله: ((ومنها - يقصد الكرامة - : ما يتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق؛ كما فعل خالد ابن الوليد لما شرب السم[٤]؛ وكالغلام الذي أتى الراهب، وترك الساحر،وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه، وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله[٥]، ومثل هذا كثير))[٦].

ويرى رائد العشيرة المحمدية بأنه لا فرق بين الكرامة والمعجزة، إلا بدعوى التحدي، وأن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة للنبي، فيقول في ذلك: ((وكل

---

(١) انظر: كرامات الأولياء للعنقري (ص٢٨).

(٢) النبوات (١/ ٢٠٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٥٤١).

(٤) أخرجه بن أبي شيبه في مصنفه (٦/ ٥٤٨)، في كتاب التأريخ، قدوم خالد بن الوليد الحيرة وصنيعه، رقم ٣٣٧٣٠، بلفظ:((لما قدم خالد بن الوليد إلى الحيرة نزل على بني المرازبة، قال: فأتي بالسم فأخذه فجعله في راحته، وقال: «بسم الله»، فاقتحمه، فلم يضره بإذن الله شيئا)).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٩)، في كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (٧٣).

(٦) النبوات (١/ ١٤٠).

كرامة يمنحها الله تعالى لمسلم أو مسلمة من الصالحين هي في الواقع معجزة لسيد المرسلين ﷺ؛ إذ إنه لولا الإيمان به وصدق اتباعه ما تحققت هذه الكرامة الشريفة))[1].

ولاشك أن كرامة الولي تابعة لمعجزات النبي[2]؛ لأن الولي لم يكن له تلك الكرامة لولا اتباعه للنبي؛ لكن ينبغي ألا يفهم من هذا الكلام أن كرامات الأولياء تساوي معجزات الأنبياء، بل لابد من التفريق بين كرامات الأولياء، ومعجزات الأنبياء، قال ابن تيمية رحمه الله: ((إن آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم، ليست مما تكون لغيرهم، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم، وآياتهم التي فرق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم، بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء، ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم، وذلك: مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلا لنوح، ومن ركب معه في السفينة؛ فهذا لم يكن قط في العالم نظيره))[3].

وقال في موضع آخر: ((فإن آيات الأنبياء عليهم السلام التي دلت على نبوتهم، هي أعلى مما يشتركون فيههم وأتباعهم، مثل الإتيان بالقرآن؛ ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين، وأممهم، والإخبار بما يكون يوم القيامة، وأشراط الساعة؛ ومثل إخراج الناقة من الأرض؛ ومثل قلب العصا حية، وشق البحر؛ ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه طيراً بإذن الله، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره))[4].

وأيضاً لا يمكن أن تكون الكرامة امتداداً لمعجزة النبي أو تابعاً لها إذا هي خالفت شريعة النبي ﷺ كما هو الحال عند الصوفية؛ومن هنا يعلم أن الإيمان بكرامات من هذا القبيل لا يمكن أن يجتمع مع قولهم إن كرامة الولي هي معجزة للنبي؛ بل هي في الحقيقة بمنزلة العبث واللعب والدجل، فالكرامة الممدوحة إنما تكون في نصرة شريعة النبيﷺ، وإعلاء كلمة الله، ونصرة الدين، قال ابن تيمية رحمه الله: ((فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر؛ ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وخيار أولياء

---

(١) أصول الوصول (ص٢١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٤)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٥٥).

(٣) النبوات (١/ ١٠٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٢٦).

الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك))[1].

وقال في موضع آخر: ((إن الكشف والتأثير إما أن يكون فيه فائدة أو لا يكون، فإن لم يكن فيه فائدة؛ كالاطلاع على سيئات العباد وركوب السباع لغير حاجة والاجتماع بالجن لغير فائدة والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر؛ فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو بمنزلة العبث واللعب وإنما يستعظم هذا من لم ينله. وهو تحت القدرة والسلطان في الكون مثل من يستعظم الملك أو طاعة الملوك لشخص وقيام الحالة عند الناس بلا فائدة، فهو يستعظمه من جهة سببه لا من جهة منفعته كالمال والرياسة ودفع مضرة كالعدو والمرض؛ فهذه المنفعة تنال غالبا بغير الخوارق أكثر مما تنال بالخوارق، ولا يحصل بالخوارق منها إلا القليل، ولا تدوم إلا بأسباب أخرى))[2].

ثم إن العشيرة المحمدية من خلال كرامات الأولياء أثبتت عقائد باطلة، واعتبروها أدلة صحيحة على معتقدهم، فبالكرامة ينال العبد أعلى المقامات، وبها يحصل على الكشف والبركة، وبها يصل العبد إلى مرتبة الربانية، فيحل فيه قبس من النور الإلهي، ويكون من أهل الله الخاصين، فيحصل لهم التصرف الكوني، ويكونون عوامل إيجابية في هذا الكون والمتصرفين فيه، يقول رائد العشيرة المحمدية حول هذه القضية((هذه المرحلة - يقصد مرحلة الولاية والكرامة - التي ترتفع بالإنسان إلى أرفع مقامات الروحانية، وتنتقل به في مراتب الذوق والوجد، والكشف والسر والاستغراق والبركة والإيجاب، حتى يصبح مؤمناً حقاً بالاعتقاد والشهود والعمل جميعاً، وبذلك يتدرج في مسلك أهل الله أولئك النفر القليل النادر المختار الذين يندمجون بروحانياتهم اندماجاً فعلياً في الطبيعة الكونية العامة، فتنفعل لهم الأشياء، وتتلاحق على أيديهم الخوارق بحكم اندماجهم فيما وراء المادة، أي: تحكمهم في سر القوة التي تنتظم مظاهر الطبيعة وظواهرها بإذن الله، وهم يتصرفون بها على ما سبق في علم الله وعلى مقتضى مراده ... ومعنى هذا إجمالاً: أن العبد يصل بالتعبد إلى مرتبة الربانية، فيحل فيه قبس من النور الإلهي، وينعكس بمده على جميع جوارحه الظاهرة والباطنة، فلا يكون له من نفسه فعل ولا ترك؛ وإنما الفعل والترك الذي يجري على يديه هو على الحقيقة لله من

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٤)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٥٤ - ١٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٨).

الله، وما العبد إلا آلة لظهور أثر الإرادة الإلهية المغيبة، وإذا عرفت ذلك سهل فهم حدوث الكرامات والخوارق، والتصرف الكوني الذي حدث ويحدث على أيدي رجال الله، ويفهم أيضاً معنى اندماجهم في مادة الكون حتى يكونون فيه عوامل إيجابية تنفعل له الأشياء بقوة الله؛ إذ هم لم يصح لهم وجود بشر يبعد بلوغهم هذه المرتبة، بل انقلبوا آلات الهية فعالة، يحقق الله بها مراده بين عباده، وقد انعدم عنها الحد والقيد والزمان والمكان والسبب الظاهر والحجاب؛ لنوع العلاقة البرانية التي جعلته محلاً للفيض مشرفاً لتجليات الأسماء والصفات والأفعال، وإذا كان ذلك مسلماً به في الحياة، والعبد يرسف في أغلال البشرية،
وتخضعه أحكام المادة، فلا شك هو أصح وأصدق وأقوى بعد فكاكه من قيود الجسم وتمتعه بحقيقة الكمال فيما بعد الموت، ولذلك شواهد أفردنا لها كتاباً، فاعلم وافهم كيف اندفع بهذا كل شك واستشكال))[(١)].

ويبين في موضع آخر فضل الأولياء وما يجريه الله على أيديهم من التصريف والتدبير الكوني،وإعطاء الولي صفة وخاصية من خصائص الربوبية، وأنهم إذا أرادوا شيئاً أراده الله، وإعطاء هذا المقام وصفاً شرعياً؛ للتدليس والتلبيس على الناس فيقول في ذلك: ((معنى قول السادة: إن لله عباداً إذا أرادوا أراد، ترجمة لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾{ سورة غافر: ٦٠ }، فافهم، فالمراد بالتصريف هنا هو تفضل الله تعالى على عبده بإيقاعه تعالى الأمر كما سبق في علمه القديم على مراد عبده الظاهر، بما يجيء في دعائه القولي، أو توجهه القلبي، أو تحرك إرادته الروحية، وذلك تنفيذاً لترتيب الأسباب والمسببات على مقتضى ما في اللوح وأم الكتاب ... فأهل التصريف يعنون بهم أهل الفضل الإلهي، الذين يكرمهم الله بتحقيق مرادهم الظاهر، وهو مراد الله الحقيقي الباطن فيما يطلبونه من الكونيات، سواء كان الطلب بالقول أو الفعل أو الهمة، والهمة يعني بها كثير من الصوفية: تحرك الإرادة الروحية التي يجعلها الله سبباً عادياً من أسباب انفعال الأكوان بقدرته تعالى؛ ليحقق بها المطلوب لعباده الصالحين في ظاهر الأمر، وعلى ما سبق في العلم القديم، فالمراد مراده، والأمر أمره، يجريه كما يشاء، بمعنى آخر: أن الله تعالى يجعل عبده الصالح نفسه أداة من أدوات تنفيذ المراد الإلهي الأزلي، الذي قد يظهر في صورة مراد العبد البشري فيما يراه الناس))[(٢)].

---

(١) الدليل إلى الطريقة المحمدية (ص١٥٢ - ١٥٤).
(٢) أصول الوصول (ص ٢٢٥).

ويرى رائد العشيرة المحمدية أن الأولياء انتقلوا من مقام البشرية إلى مقام الربوبية، ؛ فالصفات الإلهية متمثلة في الأولياء،فما يصدر منهم حقيقته أنه من الله، فيقول عنهم: ((وهذا المقام خاص بالربانيين الذين هم على أقدام الأنبياء ما يصدر عنهم ليس منهم، فقد ذابت بشريتهم وفنيت إرادتهم، وبقيت روحانيتهم أثراً لقيامهم مقام المحبوبية، كما جاء في الحديث القدسي الصحيح عن الله يقول: « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها »[1]، ومعنى هذا تجرده

من كل شيء إلا من مظاهر انعكاس الصفات الإلهية عليه، فتظهر شؤونه كأنها منه، وما هي إلا من الله، وهو مقام: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾{سورة ص: ٣٩ }، وهو معنى قول الساده رضي الله عنهم على لسان الحق: عبدي أطعني أجعلك ربانياً تقول للشيء: كن فيكون))[2].

ويفهم من هذا الكلام أن كل العلوم والحقائق الصوفية التي يقوم عليها مذهب التصوف قائم على الكرامات، فما يحصل لهم من تلك العلوم الباطنية المزعومة، والمقامات الروحانية المكذوبة، والتي تفردوا بها عن سائر الخلق إلا بسبب اعتقادهم بهذه الكرامات، والهدف من ذلك إثبات صحة طريقتهم، وإقناع أتباعهم أنهم على حق وصواب، وإقناعهم أن كل من ظهرت له أي كرامة فهو على حق، وأن غيرهم على باطل وضلال[3].

وقد بين أبو الوفاء التفتازاني أن الصوفية استغلت مسألة الكرامة للدلالة على صحة مسلكهم وعلوا منزلة شيوخهم، فيقول عن الكرامات المنسوبة لابن عطاء السكندري: ((وقد حاول بعض المترجمين لابن عطاء الله أن يبرز جانباً آخر من جوانب حياته الصوفية غير تلك التي أشرنا إليها، فذكروا بعض الكرامات التي تنسب إليه، وعدوها دالة على علوا منزلته كصوفي كامل واصل إلى الله ... وإذا كان مقصد الذين رووا مثل هذه الوقائع الخارقة للعادة من المترجمين أن يظهروا منزلة ابن عطاء الله السكندري التصوفية، ظانين أن الخوارق مما يغلي من شأنه فقد أخطأوا في ذلك))[4].

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ (٨/ ١٥) في كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث رقم ٦٥٠٢.

(٢) أصول الوصول (ص٢٢٦).

(٣) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد (٣/ ١١٣٣ - ١١٣٥).

(٤) ابن عطاء الله السكندري وتصوفه (ص ٦٩ - ٧٦).

وقد بالغت العشيرة المحمدية في حصول الكرامات للأولياء، ومن ذلك أنهم يرون حصول الكرامة تكون للعبد حتى بعد الموت - على حد زعمهم - فالكرامة باقية بعد فناء الجسد؛ لأنها مرتبطة بخصائص الروح، يقول رائد العشيرة في ذلك: ((والكرامة منحة إلهية من الله تعالى للعبد الصالح، حياً كان أو ميتاً، وسواء أكانت موهوبة أم مكسوبة بصدق اليقين، وإخلاص التعبد، فإنما هي اعتبار غيبي معنوي، مرتبط بخصائص الروح، واستعداداتها، ومجاهدتها في حياتها، والروح بعد فناء الجسد باقية، والله تعالى يقول: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾{ سورة المؤمنون: ١٠٠ }، فالكرامة باقية بعد الموت ببقاء الروح وبخصائصها، وقد أشار إليها القرآن في قصة أهل الكهف ببناء المسجد على أهله ، وأكدتها السنة الصحيحة، وبخاصة في قصة الصحابي عاصم بن ثابت، الذي استشهد فحمى الله جسده بالدبر – أي: النحل الجبلي الشرس المتوحش- حتى غيبته الملائكة، ولهذا يؤكد الصوفية أن الولي الكامل هو من تستمر كراماته عند الله خالدة مع خصائصها في ظلال فضل الله وهباته وعطياه))(١).

ويفهم من هذا القول أن رجال العشيرة المحمدية يريدون أن يرسخوا في عقول الأتباع أمرين:

١-أن الأموات لهم القدرة على النفع والضر وهم في قبورهم.

٢- أن خرق العادة يوقعه الولي بحوله وقوته.

ولا شك أن هذا الاعتقاد من أبطل الباطل؛ فهي دعوة صريحة للاستغاثة بالأموات من دون الله، وأن الولي قد أعطي التصرف العام، وهذا ما يريده الصوفية، وأما ما يستدل به رجال العشيرة المحمدية في قصة الصحابي عاصم بن ثابت ﷺ، فهي قياس مع الفارق؛ لأنه دعاء الله في حياته فاستجاب الله له، فحمى الله عاصم بن ثابت من قطع العدو رأسه بإرسال الدبر عليهم، ولم يستطيعوا أن يعملوا به شيئاً لحماية الله إياه مع كون ذلك غاية أمانيهم حيث إن عاصماً قتل من عظمائهم، وسوق الأرزاق العجيبة إليهم، فإن هذه الحادثة تبين استجابة الله دعاء الأولياء،وعطاءهم عين ما يطلبونه،وتقوية قلوبهم وشد عزائمهم على اقتحام المخاطر ثقة بنصر الله، والذود عنهم، وليس الأمر كما تدعيه العشيرة المحمدية أن الكرامات تقع للأموات وهم الذين قد انقطعوا عن الدنيا(٢).

---

(١) أصول الوصول (ص ٢٢٣).

(٢) انظر: كرامات الأولياء للعنقري (ص٤١٦ - ٤١٧)، والبراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية لعبد اللطيف بن حسن (١/ ٨٣).

ثم نقول لرجال العشيرة المحمدية إن هذا الاعتقاد مخالف لما عليه سيد الأولياء ﷺ، فإن النبيﷺ لم يوصي الصحابة ﭫ بأن يتوجهوا إليه بعد موته، أو يتوجهوا إلى قبره؛ بل أمر الناس بعد موته أن يذهبوا إلى الصحابة ﭫ، فقد جاء عن جبير بن مطعم ﭬ أنه قال:((أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة، فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت،قال:إن لم تجديني، فأتي أبا بكر))[١].

ثم إن هذا القول مخالف أيضاً لما عليه صحابته الكرام ﭫ؛ فقد حصل بينهم بعض الخلافات، بل بعضها وصل إلى الحروب بينهم، وحصل بينهم اختلافات في الفتاوى والآراء، وحصل لهم من الابتلاء والمصائب، ومع ذلك لم يكونوا يلتجئون إلى النبي ﷺ، أو يذهبوا إلى قبره، باسم الكرامة الملازمة للولي حياً وميتاً،فإذا لم يفعلوا ذلك مع سهولة هذا الأمر بالنسبة لهم، دل دلالة قاطعة أن الميت ليس له القدرة على النفع والضر، ودل على أن الولي ليس له حول ولا قوة في تملك الكرامة.

قال ابن تيمية رحمه الله مبيناً حال الصحابة ﭫ بعد موت النبيﷺ: ((كان الصحابة يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجذب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ﷺ ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقولون: نشكو إليك جدب الزمان، أو قوة العدو، أو كثرة الذنوب، ولا يقولون: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم؛ بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين))[٢].

والكرامات عند العشيرة المحمدية على قسمين:

١- الكرامة الموهوبة: وهي التي تكون من الله للعبد هبة على مقتضى الحال والواقع، وفي الوقت المعين والمحدد، بغير طلب من الولي لا بالقلب ولا بالهمة ولا باللسان ولا بالابتهال؛ وإنا بالتفويض المطلق، والانصراف عما سوى الله، وهي الكرامة التي يعتز بها الأولياء، وهي أسمى أنواع الكرامة التي يعطها العبد[٣].

وهذه الكرامة التي يسميها ساداتهم الشاذلية بالكرامة المعنوية، والتي قال عنها ابن عجيبة: ((الكرامة المعنوية: هي استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن، وكشف

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٩/ ٨١) في كتاب الأحكام، باب الاستحلاف، حديث رقم ٧٢٢٠، ومسلم (٤/ ١٨٥٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديقﭬ، حديث رقم ١٠.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٤٤).

(٣) انظر: أصول الوصول (ص٢٢٠).

الحجاب عن قلبه، حتى عرف مولاه، والظفر بنفسه ومخالفة هواه، وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله))[(١)].

والتي قال عنها ابن عطاء السكندري: ((وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل، وهي الكرامة المعنوية: كالمعرفة بالله، والخشية له، ودوام المراقبة له، والمسارعة لامتثال أمره ونهيه، والرسوخ في اليقين والقوة، والتمكين، ودوام المتابعة والاستماع من الله، والفهم عنه، ودوام الثقة به، وصدق التوكل عليه إلى غير ذلك)) [(٢)].

٢- **الكرامة المكسوبة:** وهي الدعاء المستجاب، يطلبها الولي بقلبه أو بلسانه فيستجيب الله له كما وعده، وأهل هذا المقام هم أهل قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾، وهو مقام الاضطرار، ويرى كبار الصوفية أن هذا النوع من الكرامات هو من مقامات المبتدئين[(٣)].

وهذه الكرامة يسميها سادتهم الشاذلية بالكرامة الحسية، قال ابن عجيبة عن هذه الكرامة مع ضرب بعض الأمثلة عليها: ((الكرامة الحسية: هي خرق الحس العادي، كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وطي الأرض، ونبع الماء، وجلب الطعام، والاطلاع على المغيبات، وغير ذلك من خوارق العادات))[(٤)].

وقال عنها ابن عطاء الله السكندري مع ضرب بعض الأمثلة عليها: ((ثم إن هذه الكرامات قد تكون طياً للأرض، ومشياً على الماء، وطيراناً في الهواء، واطلاعاً على كوائن كانت وكوائن لم تكن من غير طريق العادة، وتكثيراً لطعام أو شراب، وإتياناً لثمرة في غير إبانها، أو اتباع ماء من غير حفر، أو تسخير حيوانات عادية، أو إجابة دعوة بإتيان مطر في غير وقته، أو صبراً عن الغذاء مدة تخرج عن طور العادة، أو إثماراً لشجرة يابسة ما ليس عادتها أن تكون مثمرة له، وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية)) [(٥)].

والعشيرة المحمدية تفضل الكرامة الموهوبة على الكرامة الحسية، يقول رائد العشيرة المحمدية في ذلك: ((الكرامة الموهوبة، وهي أسمى نوعي الكرامة؛ لأنها تكون من الله للعبد ...))[(٦)].

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة (ص٣١٧).

(٢) لطائف المنن (ص١٠١).

(٣) انظر: أصول الوصول (ص٢٢٠ - ٢٢١).

(٤) إيقاظ الهمم (ص٣١٧).

(٥) لطائف المنن (ص١٠٠).

(٦) أصول والوصول (٢٢٠).

وعلى هذا الأساس يرون أنه يجب الابتعاد عن الكرامة المكسوبة إلا في مقام الاضطرار؛ لوجود محاذير شرعية، ومن ذلك:

١- أن الانشغال بالكرامة المكسوبة هو انشغال بالأثر عن المؤثر سبحانه، وهو عند الصوفية خطيئة، لذلك اعتبروا الكرامة المكسوبة عورة، فهي في قانونهم نوع من الفتنة والابتلاء يجب ستره والتعفف عنه إلا في مقام الاضطرار.

٢- أن الكرامة المكسوبة يخشى منها أن تدخل على النفس شيئاً من التزكية أو الترفع، وبالتالي الوقوع في خطر الرياء المدمر لكل عمل صالح.

٣- أن الكرامة المكسوبة مظنة الغفلة عن الله والالتفات إلى الناس، فمن غفل عن ذكر الله طرفة عين فقد خان ربه، ولهذا كان كبار القوم يسألون الله النجاة من هذا المقام: أي مقام الكرامة المطلوبة إلى مقام الكرامة الموهوبة(١).

قلت: لقد ظلت العشيرة المحمدية في الكرامة الموهوبة، وأنها أسمى أنواع الكرامة التي يعطها العبد، والتي يقصدون من ورائها الاستدلال بها على عقائد باطلة، فبالكرامة ينال العبد أعلى المقامات، وبها يحصل على الكشف والبركة، وبها يصل العبد إلى مرتبة الربانية، فيحل فيه قبس من النور الإلهي ويكون من أهل الله الخاصين، فيحصل لهم التصرف الكوني، ويكونون عوامل إيجابية في هذا الكون والمتصرفين فيه، وأن الأولياء بهذه الكرامة انتقلوا من مقام البشرية إلى مقام الربوبية، وأن الصفات الإلهية متمثلة في الأولياء،فما يصدر منهم حقيقته أنه من الله، وأن الأولياء من الأموات لهم القدرة على النفع والضر وهم في قبورهم،وأن خرق العادة يستطيع الولي الميت أن يوقعه بحوله وقوته.

وظلت في تفضيلها للكرامة الموهوبة على الكرامة المكسوبة، والتي يدعون أن فيها محاذير شرعية؛ ما هي إلا محاولة منهم التستر وإخفاء هذه الكرامة على عوام الناس؛ لعدم قدرتهم على إظهار هذه الكرامة أمام الناس، فإذا طالبه أحد بإظهار كرامته زعم أن هذه الكرامة فيها محاذير شرعية فهي تشغل عن الله وطاعته، وهي فتنة وابتلاء يجب ستره والتعفف عنه، وأن فيها ترفعاً وتزكية للنفس، وأنها تودي إلى الوقوع في الرياء المدمر لكل عمل صالح، ثم يزعم بعد ذلك بأن العارفين بالله يسألون الله النجاة من الكرامة المكسوبة والتحلي بالكرامة الموهوبة التي فيها الكشف عن الأسرار والتلقي عن الله، وهذا أمر يمكن إطلاع الناس عليه، وبالتالي يستمرون في سيطرتهم على

---

(١) انظر: أصول والوصول (ص٢٢١).

قلوب الأتباع والمريدين، والتفاخر بين الناس بلقب الكرامة، فإن كثيراً من العامة يندهشون لما يرون مثل هذه الكرامات المزعومة، ثم لا تزال الدهشة تكبر في وتزيد في عقولهم حتى تطمئن نفوسهم بأن هؤلاء فعلاً هم أولياء الله وصفوة خلقه، وما شاهدوه من أعمال إنما هو كرامة من كراماتهم التي تدل على صدقهم، وأنهم أهل الدين وحملته[١].

(١) انظر: أدوار التصوف عند العرب لعلي عثمان (ص٢٧)، والشاذلية عرض ونقد (٣/ ١١٩٤ - ١١٩٧).

الفصل الثالث

آراء العشيرة المحمدية من العقائد الغالية عند الصوفية

المبحث الأول: آراء العشيرة المحمدية في الحلول الاتحاد ووحدة الوجود

لقد أدخل أهل البدع على المسلمين أنواعاً من الانحرافات العقائدية، والآراء الفاسدة، ولعل من أشدها وأخطرها، عقيدة الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، وعلى رأس هؤلاء المبتدعة الصوفية، حيث سعوا لطمس معالم التوحيد بتلك العقائد الإلحادية والتي فيها التسوية بين الخالق والمخلوق، وحيث إن العشيرة المحمدية إحدى هذه الطرق الصوفية فإننا سنبين موقفها من عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ولكن قبل الدخول في صلب الموضوع لابد من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه العقائد، فأقول مستعيناً بالله:

الحلول في اللغة:النزول، مصدر حل يحل إذا نزل بالمكان، ومنه قوله تعالى:﴿ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ ﴾{ سورة الرعد:٣١ }، وأصل الحلول من حل عقد الحبال عند إنزال الأحمال: أي فتحها ونقضها[(١)].

الاتحاد في اللغة:أن يصير المتحد واحداً، مصدر من اتحد يتحد، يقال: اتحد الشيئان أو الأشياء، أي: صارت شيئاً واحداً، ومادة (وحد) تدل على الانفراد، والواحد: المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير[(٢)].

الحلول والاتحاد في الاصطلاح: اختلفت آراء أهل العلم في تعريف الحلول والاتحاد، فمنهم من يرى أنهما مترادفتان، ومعناهما: اتحاد الله بخلقه، أو حلول الله بخلقه.

وذهب بعض أهل العلم بأن هناك فرقاً بينهما، فالحلول عند من يعتقده: هو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية، ودخولها فيه، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق بزعمهم، وأما الاتحاد عند من يعتقده فهو: اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق، فيكونان بعد الاتحاد ذاتاً واحدة[(٣)].

وحدة الوجود في اللغة: الوحدة (بفتح الواو) بمعنى الانفراد، ووحد الشيء: أي جعله واحداً، والواحد المنفرد بذاته في عدم المثيل والنظير، والوجود بمعنى الثبوت والحصول، مصدر من وجد الشيء، ويطلق الوجود على الظفر بالضالة وإدراك

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١/ ١٠٦٢)، ولسان العرب (١١/ ١٦٣)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، (١/ ١٤٧)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ٢٥١)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(١/ ١٩٤).

(٢) انظر: القاموس المحيط (١/ ٣٤٣)، ولسان العرب (٣/ ٤٤٦)، والمصباح المنير (ص٦٥٠)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٧).

(٣) مجمع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٣٨٦)، والتعريفات للجرجاني (ص٦)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني (٤/ ٣٠٩).

المطلوب، ويطلق أيضاً على الوصف الذي تشترك فيه الكائنات فيميزها عن المعدومات[1].

وحدة الوجود في الاصطلاح: هي القول بأن وجود الكائنات عين وجود الله تعالى، وليس وجودها غير ولا شيء سواه البتة[2].

والطرق الصوفية، وعلى رأسها الطريقة الشاذلية لا تؤمن بعقيدة الحلول والاتحاد؛ لأنها تنافي القول بعقيدة وحدة الوجود، فعندهم أن من أثبت أن الوجود واحد، وأن كل موجود هو عين وجود الله، وهذا يعني إنكار وجود إثنينية، والحلول قائم على وجود حال ومحل، والاتحاد قائم على وجود شيئين يحصل بهما اتحاد، وكل ذلك إثنينية وهي منتفية عندهم، فإذا كان الوجود واحداً فلا حلول ولا اتحاد[3]، وقد نبه ابن تيمية رحمه الله إلى هذه المسألة فقال في ذلك: ((حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوباً عن معرفة قولهم، خارجاً عن الدخول إلى باطن أمرهم؛ لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذه تثنية عندهم وإثبات لوجودين: أحدهما وجود الحق الحال، والثاني: وجود المخلوق المحل، وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة))[4].

وقد كثرت أقوال أئمة الصوفية في نفي عقيدة الحلول والاتحاد والقول ببطلانها، ومن أبرز أقوالهم في هذه المسألة قول ابن عربي: ((واحذر من الاتحاد في هذا الموضوع؛ فإن الاتحاد لا يصح،فإن الذاتين لا تكون واحدة، وإنما هما واحدان فهو الواحد في مرتبتين))[5].

ويقرر هذه الحقيقة ابن عجيبة، حيث قال في ذلك: ((فلا وجود للأشياء مع وجوده، فانتفى القول بالحلول؛ إذ الحلول يقتضي وجود السوى حتى يحل فيه معنى الربوبية، والفرض أن السوى عدم محض فلا يتصور الحلول ... وتقرر أن الأشياء كلها في حيز العدم؛ إذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم، فانتفى القول بالاتحاد، إذ معنى

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠)، والقاموس المحيط (١/ ٣٤٣)، ولسان العرب (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، والمصباح المنير (٦٤٨ - ٦٥٠)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٠)، والتعريفات للجرجاني (ص٢٥٠)، والمعجم الفلسفي لمراد وهبة (ص٧٣٦).

(٣) انظر: الشاذلية عرض ونقد (١٣٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٤١).

(٥) الأحدية لابن عربي (ص٥).

الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث، فيتحدان حتى يكونان شيئاً واحداً وهو محال، إذا هو مبني على وجود السوى، ولا سوى))[١].

وقال محمود أبو الفيض المنوفي[٢]: ((فكرة الحلول ولاتحاد مستحيلتان في التصوف الإسلامي الصحيح، وأما فكرة وحدة الوجود الحقة فإنها تجعل وجودنا ظاهرياً وعرضياً بالنسبة لوجود الله))[٣].

بل يرون إن القول بالحلول والاتحاد شرك، وكفر بالله كما صرح بذلك عبد الله الهروي[٤]: ((لا تتحقق الحقيقة بإثبات النفس؛ بل تتحقق الحقيقة بنفي الوجود، ولا تثبت الحقيقة بالإثنينية، فإثبات الإثنينية شرك، ونفي الإثنينية توحيد))[٥].

وأما ما ورد عن بعض الصوفية من نصوص تثبت القول بالحلول والاتحاد، فإنهم يقصدون بها وحدة الوجود، وهو من باب التجوز في العبارة، ومحاولة منهم لعرض المعتقد باستخدام عبارات مختلفة، أو قد يكون عدم الدقة في التعبير؛ لأن الصوفية صرحوا بأنهم يعنون بالحلول والاتحاد وحدة الوجود[٦]، قال ابن عجيبة: ((قد يطلقون الاتحاد على الوحدة))[٧].

وكما أن الطرق الصوفية اتفقت على عدم القول بالحلول والاتحاد، كذلك اتفقت على القول بوحدة الوجود، وعلى رأسها الطريقة الشاذلية، ولكنها سلكت منهجاً متلوناً في القول بوحدة الوجود، منهم من أظهر القول بوحدة الوجود، ولهم نصوص واضحة وصريحة بهذه المسألة، كقول أبي الحسن الشاذلي: ((من أطاع الله في كل شيء بهجرانه أنه لكل شيء أعطاه في كل شيء، بأن تجلى له بكل شيء))[٨].

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة (ص٧٥).

(٢) هو محمود أبو الفيض المنوفي، شيخ الطريقة الفيضية الشاذلية، ولد في مدينة منوف بمصر سنة ١٣١٢ه، أخذ التصوف من حسين الحصافي، وله جهود في نشر التصوف، فقد أسس الكلية الصوفية، وأصدر مجلة لواء الإسلام، والبهلول، والعالم الإسلامي، من مصنفاته: الوجود، والوجودية الكونية، ووحدة الدين بين الفلسفة والعلم، والوادي المقدس، وغيرها من المصنفات. انظر: ترجمته في كتاب جمهرة الأولياء للمنوفي (١/ ٣١٤) و (٢/ ٢٦٩).

(٣) جمهرة الأولياء (١/ ٢٩٠).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي، أبو اسماعيل الأنصاري الهروي، شيخ خرسان في عصره، ومن كبار الحنابلة، ولد في هراة سنة ٣٩٦ه، تعلم وأخذ التصوف على يد الخرفاني، له كلام جميل في إثبات الصفات، والرد على أهل الكلام في ذلك؛ لكن مما أخذ عليه الميل للتصوف، والقول بوحدة الوجود، من مصنفاته: منازل السائرين، والفاروق في الصفات، وطبقات الصوفية، توفي بهراة سنة ٤٨١ه. انظر: العبر (٢/ ٣٤٣)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٣٤٢)، والأعلام (٤/ ١٢٢).

(٥) نفحات الأنس من حضرات القدس لعبد الرحمن الجامي (ص١٧٣).

(٦) انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية لأحمد القصير (ص٥٢).

(٧) إيقاظ الهمم (ص٧٥).

(٨) لطائف المنن (ص٨٥).

وقال ابن عطاء الله: ((كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو ظهر لكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء، وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء، كيف أن يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء))[١].

وقال عبد القادر بن مغيزل الشاذلي[٢]: ((إن التوحيد الذاتي مرادف للتوحيد الجمعي؛ لأنهما لا يكونان إلا في الحضرة الأحدية، التي يوحد الله فيها ذاته بذاته، سواء كان يوحد ذاته على لسان عبده، كقول الحلاج: أنا الحق، وقول البسطامي: سبحاني، ما أعظم شأني، وهذا لا يكون إلا بعد فناء الفناء، أو ذاته بذاته))[٣].

وهناك: من أنكر القول بوحدة الوجود، وصرفوا معنى وحدة الوجود إلى انفراد الله بالوجود الكامل، المنزه عن النقص، والمخلوق له وجود ناقص، أو أن المراد بوحدة الوجود وحدة الشهود[٤]، لذلك نجد لهم أقوال منشورة في الدفاع عن ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، وغيرهم من القائلين بوحدة الوجود، وقد أحسنوا الظن بهم، ومن ذلك: قول أحمد زريق - متأولاً القول بوحدة الوجود التي عليها الشاذلية -: ((إنكاره بالوجود الجائز بدلاً من العدم، والمجوز، فظهر فيه بعلمه من حيث إتقانه، وإرادته من حيث تخصيصه، وقدرته من حيث إبرازه، ظهور دلالة وتعريف، لا ظهور حلول وتكييف فعرفت به ذاته وصفاته وأسماءه إذ هو فعلة))[٥].

وقال علي سالم عمار: ((إن وحدة الوجود الصوفية معنوية، وهي غير تلك المادية الكافرة عند الملاحدة ... فإذا حققنا في طريق الخصوص عند الشاذلي أو في قوله

---

(١) البحر المديد (١/ ٦٦).

(٢) هو عبد القادر بن حسين بن علي بن عمر المحيوي القاهري الشاذلي، ويعرف بابن مغيزل، ولد بشبرخيت التابعة للبحيرة بمصر، سنة ٨٦٥هـ، أديب مؤرخ، تعلم الحقوق بالقاهرة، واحترف المحاماة، ثم انقطع للصحافة، فترأس تحرير جريدة الاهالي اليومية، من مؤلفاته الكواكب الزاهرة، توفي بالقاهرة سنة ٨٩٤هـ. انظر: الضوء اللامع (٤/ ٢٦٦)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٦٨).

(٣) الكواكب الزاهرة لعبد القادر بن مغيزل (ص٣٤٤).

(٤) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد (ص١٣٧٩).

(٥) شرح زروق على الحكم العطائية (ص٤١).

بالحقيقة المحمدية لم نجد عنده شبهة في القول بوحدة الوجود، ونجد أن وحدة الشهود عند صاحبها مظهر واسع، وليس ثمة شبهة عنده لا بالحلول ولا بالاتحاد قطعاً))[1].

وقال الدكتور عبد الحليم محمود متأولاً بأن وحدة الوجود التي يقصدها الصوفية هي انفراد الله بالوجود الكامل: ((فوحدة الوجود التي يقصدها الصوفية في نثرهم وفي شعرهم حقيقتها أن المنفرد بالوجود الحق الغني عما سواه الذي يفتقر إليه كل ما عداه، هو الله وحده تبارك وتعالى، فهم يريدون بالوجود الحق الذات العلية، وما سوى الذات لابد له من اسم يليق به، فالحق موجد - فاعل - والمخلوق موجد - مفعول - والاشتمال في لفظ الوجود عند الناس اشتراك لفظي، ليس باشتراك حقيقي، وحقيقة الحق أحدية فوجوده حقيقي وما سواه ليس بوجود حقيقي ولا شيئية ذاتية، وقد تنزه الحق أن يشارك في صفة أو اسم، وهل يعقل اشتراك حقيقي بين العلم الذاتي المطلق التي تنشأ عنه الموجودات وهو سابق عليها، وبين العلم الحادث عن وجود الحوادث ... فكلما ذكر من كلام القوم ﷺ مما يفهم منه أنه لا موجود إلا الله، فهو على هذا المنهج النوراني، إنه لا موجود وجوداً ذاتياً إلا الله، وهو الحق الذي عليه جميع المسلمين وعامتهم رضوان الله على الجميع))[2].

ومن خلال تتبع أقوال العشيرة المحمدية نجد أنهم سلكوا منهج القائلين بإنكار القول بوحدة الوجود، وصرفوا معنى القول بوحدة الوجود إلى معنى انفراد الله تعالى بالوجود الكامل، أو أن المقصود بها هي وحدة الشهود، وأحياناً يعتذرون أن هذا من المدسوس على التصوف، وزعموا أن هذا ما عليه ساداتهم الشاذلية: قال إيهاب عبد العزيز الكومي مبيناً أن المدرسة الشاذلية بريئة من القول بوحدة الوجود، وهو رأي شيخ العشيرة المحمدية في هذه المسألة: ((أشرت فيما سبق إلى رأي التصوف من المدرسة الشاذلية وغيرها في قضيتي الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، هذا الرأي الذي سار على دربه فضيلة الإمام محمد زكي إبراهيم، فهو يقرر في أكثر من موضع أنه ما في الكون من موجود مستقل بالقيومية إلا هو سبحانه، وأما غيره فهو موجود به تعالى، والموجود بغيره لا وجود له))[3].

ويبين أن الصوفية لا يقولون بوحدة الوجود؛ إنما يقصدون أن الله ممد الوجود: ((إذا الصوفية يقولون بالوجود الواحد وليس بوحدة الوجود، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو

---

(١) أبو حسن الشاذلي عصره وتاريخه (ص٢٣٣ - ٢٣٥).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٢٠ - ٥٢١).

(٣) الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم وجهوده في التصوف (ص ٢٧٠).

ممد الوجود لكل موجود: إنه يمد القائم بالقيام ويمد الماشي بالمشي، ويمد المتحرك بالحركة))[1].

وبمثل هذا الكلام أجاب الدكتور علي جمعة عندما سئل عن الحلاج وقوله بوحدة الوجود، حيث قال في ذلك: ((هو متصوف؛ وكان الجنيد يقول: لو أدركته لأنقذته بقشة؛ لأن الحلاج اختلط عليه الأمر، فهو شاعر أنه لا شيء، وأن الله سبحانه وتعالى كل شيء؛ فكان ينكر وجوده، فلما أنكر هذا ظن السامع أنه يقول بالاتحاد، وهو قال عبارات تدندن حول هذا، قال: ما في الجبة إلا الله، يعني أنا لست قائماً بذاتي وإنما قائم به سبحانه وتعالى، وفرق بين أن أقوم به وكونه حل في ... الرجل كان صادقاً؛ لكنه لم يكن عنده من العلم والتعابير ما استطاع أن يعبر عما جال في نفسه من ضعف وجوده وفنائه، وقوة بقاء الله))[2].

وهذا رائد العشيرة المحمدية ينكر القول بالحول والاتحاد، وأن القول بها ليس من منهج التصوف، معتذراً لمن قال بها أن مقصوده وحدة الشهود، قال في ذلك: ((وليس من التصوف القول بالحلول أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل، ونحن نستغفر الله للجميع، ونحسن الظن بكل مسلم))[3].

ويبين في موضع آخر معتذراً لمن من قال بوحدة الوجود أن مقصوده وحدة الشهود، وليس وحدة الوجود، مدعياً أن هذا رأي ابن تيمية رحمه الله[4]، ثم يرجح أن القول بوحدة الوجود هو من المدسوس على التصوف، وعلى أئمتهم، قال في ذلك: ((كل حملات خصوم الصوفية تدور حول كلام بعضهم فيما يشبه الاتحاد أو الوجود؛ إنما هي صورة من الفناء الذي أقره ابن تيمية وشرحه بأكثر مما شرحه الصوفية أنفسهم،هذا ما لم يكن مدسوساً عليهم، بفعل الناسخين ذوي الأغراض الخبيثة، وهو الذي نرجحه، وكما سجله الشيخ الشعراني، وما كشفه المحققون))[5].

---

(١) المصدر السابق (٢٦٩).

(٢) أحد دروس الدكتور علي جمعة في المسجد منشور على اليوتيوب بعنوان: ((الحلاج متصوف أم مبتدع)).

(٣) مفاتيح القرب لمحمد زكي إبراهيم (ص١٦).

(٤) وقد بينا في مبحث علاقة العشيرة المحمدية بأئمة الصوفية المتقدمين، أن هذا افتراء على ابن تيمية، انظر:(ص١٠٦).

(٥) المشروع والممنوع (ص١٠٧).

ويبن في موضع آخر أن التصوف لا يدعو إلى عقيدة الحلول ولا إلى عقيدة وحدة الوجود، إنما هذا جاء من التصوف المدسوس، ويعتبر من الحفريات التاريخية التي لا وجود لها، وبالتالي فإن الكلام فيه يعتبر من التشوية والعبث، وإضاعة الأوقات: ((أما أن التصوف يدعو إلى عقائد الحلول والوحدة؛ فليس هذا تصوف المسلمين، إنما هو تصوف أجنبي مدسوس، والمتهمون به نفر معدود محدود انتهى أمره، وليس لهم اليوم تابع ولا وارث كما قدمنا، وأصبح ما نسب إليهم بحق أو بباطل نوعاً من الحفريات التاريخية التي لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون، وإن وجد اليوم هواة ومتخصصون في البحث عن مقابر الأفكار المهملة،وإلا أصحاب الهوى الذي يعمي ويصم، ولا اعتبار لأولئك ولا هؤلاء، وقد أصبح الكلام في هذا الجانب نوعاً من مجرد الإثارة والتشويه والعبث، وإضاعة الأوقات والتشويش على أفاضل الناس))(١).

هذه أقوال القوم في مسألة لحلول والاتحاد، ووحدة الوجود؛ ولكن عند التحقيق والتدقيق نجد أن هذا الخلاف خلاف صوري؛ لأن جميع الطرق الصوفية تقول بهذه الحقيقة، فقد اتفقت كل الطرق الصوفية على الدعوة إلى توحيد الخاصة، الذي هو في حقيقته الدعوة إلى وحدة الوجود،كما شهد بذلك ابن عجيبة، وهو إمام من أئمة الطريقة الشاذلية حيث قال: ((الطرق كثيرة والمقصد واحد، وهو التوحيد الخاص، أعني مقام الفناء والبقاء، فالداعون إلى الله كلهم متفقون على الدعوة إلى هذا المقصد، فكل طريق لا توصل إلى هذا المقصد لا عبرة بها، وكل داع لا يبلغ إلى هذا الجمال فهو دجال))(٢).

وقال رائد العشيرة المحمدية: ((فالطرق الصوفية الشرعية على تعددها سبل تعددت إلى الله؛ لتلائم حاجات كل سالك إليه ... وهذه السبل المتعددة القويمة تمضي متوازنة متحاذية في اتجاه واحد فكأنها طريق واحد، ولذلك جاءت في أكثر من آية بلفظ المفرد نحو (سبيلي، وسبيله، أو سبيل ربك) لاتحاد البداية والنهاية، فهي مجتمعة صراط الله المستقيم الواحد المتبع، أي أقرب مسافة بين العبد وربه))(٣).

ومما يؤكد أن هذا الخلاف الحاصل عند الطريقة الشاذلية في مسألة وحدة الوجود بأنه خلاف صوري؛ أن نقطة الخلاف بين القوم هي التعبير عن حقيقة وحدة الوجود، منهم من صرح بها كابن عربي،وابن الفارض وغيرهم، وبالتالي لم يسلموا من الانتقاد، ومنهم من استخدم معها العبارات الرقيقة المغطاة بالتشريع، كما هو الحال في الطريقة

---

(١) كلمة الرائد (١/ ١٨٠).

(٢) كلمة الرائد (١/ ٣٦٥).

(٣) أصول الوصول (ص٣٢٩).

الشاذلية، وبالتالي قبل كلامهم وسلموا من الانتقاد، قال ابن عجيبة موضحاً هذا التلون والاختلاف عند القوم في مسألة وحدة الوجود: ((وسبب انتقاد أهل الظاهر على أهل الباطن: أن أهل الباطن لما استشرفوا على بحار زواخر من التوحيد الخام، راح بعضهم للتعبير عن تلك الأسرار فضاقت عبارتهم عن ذلك، ففهموا منه ما أرادوه فرموا بالحلول والاتحاد، مع تنزههم عنه، وذلك كابن عربي والششتري[1]، وابن الفارض، وأضرابهم، وهذه الأسرار لا تدرك بالعبارة، وإنما تدرك بالمحبة والسرابة، ومنهم من عبر عنها بإشارة رقيقة، وعبارة دقيقة، غطاها بنوع من التشريع، فقبل منه، وأقرأ في محله، فسلموا من الانتقاد عليهم، وكلهم أولياء ﷺ أجمعين !!))[2].

وقد نفى ابن عجيبة عن الصوفية القول بعقيدة الحلول والاتحاد، وأثبت القول بعقيدة وحدة الوجود؛ ولكن العبارة لم تسعفهم في إيصال معنى الوحدة، حيث قال في معرض كلامه عن ابن عربي، وابن الفارض، والششتري، والحلاج وغيرهم من سادات الصوفية القائلين بوحدة الوجود: ((قد رمي كثير من الأولياء المحققين بالاتحاد والحلول، كابن العربي الحاتمي، وابن الفارض، وابن سبعين، والششتري، والحلاج، وغيرهم وهم براء منه، وسبب ذلك؛ أنهم لما خاضوا بحار التوحيد، وكوشفوا بأسرار التفريد، أو أسرار المعاني قائمة بالأواني، سارية في كل شيء، ما حية لكل شيء ... فأرادوا أن يعبروا عن تلك المعاني فضاقت عبارتهم؛ لأنها خارجة عن مدارك العقول، لا تدرك بالسطور ولا بالنقول، وإنما هي أذواق ووجدان، فمن عبر عنها بعبارة اللسان كفر وتزندق، وهذه المعاني هي الخمرة الأزلية التي كانت خفيفة لطيفة، ثم ظهرت محاسنها، وأبدت أنوارها وأسرارها، وهي أسرار الذات وأنوار الصفات، فمن عرفها وكوشفت بها اتحد عند الوجود، وأفضى إلى مقام الشهود، وهي منزهة عن الحلول والاتحاد، إذ لا ثاني لها تحل فيه وتتحد معه))[3].

وبمثل هذا التقرير أجاب الدكتور محمد مهنا أثناء كلامه عن الحلاج وغيره، حيث بين أن علومهم تكون بالإشارة والرمز، فهم يكونون مواجهين بحقائق معينة، وأنوار معينة فلا يستطيعون أن يعبروا عنها، وبالتالي الذي ليس من أهل الرمز والإشارة لا بد أن

---

(١) هو علي بن عبد الله الششتري النميري، الأندلسي أبو الحسن، فقيه، صوفي حكيم، أديب، وشاعر،من تصانيفه: العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته، والمقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، الرسالة القدسية في توحيد الهامة والخاصة، والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية، والرسالة العلمية، وديوان شعر، توفي بدمياط بمصر. انظر: معجم المؤلفين (٧/ ١٣٥).

(٢) شرح نونية الششتري ضمن سلسلة نورانية فريدة جمع العمراني الخالدي (ص٥٠ - ٥١)، نقلاً من الطريقة الشاذلية.

(٣) البحر المديد (٢/ ٢١).

يفهم ما يحدث منهم بالغلط، يقول حول هذه القضية: ((إن علوم هؤلاء تكون بالإشارة والرمز، والرمز يدق على غير أصحابه، وعلى غير أهله؛ فالرمز لأهله ولأصحابه يفهم بالإشارة، واللبيب بالإشارة يفهم، فأحياناً يكون مواجه بحقائق معينة وأسرار معينة فلا يستطيع أن يعبر عنها فيقول بالرمز والإشارة ما يفهمه الآخرون، أو ترجموه على فهمهم سواء أخطأوا أو أساءوا))(١).

ومما يؤكد أيضاً أن هذا الخلاف صوري أن هذه العقيدة سر من أسرار الطريقة،والتي يوصي بها الأشياخ الأتباع، ومن ذلك قول الشاذلي عن توحيد الخاصة: ((التوحيد سر الله))(٢).

قال ابن عجيبة: ((إنما خص تجلي الذات بالأسرار، وتجلي الصفات بالأنوار؛ لأن تجلي الذات لا يدركه إلا الخواص، أو خواص الخواص، ومن شأن السر ألا يدركه إلا الأفراد، بخلاف تجلي الصفات وهو الأثر، فيدركه العام والخاص))(٣).

وبين أن من أفشى سر هذه العقيدة، فإن الله يسلط عليه سيف الشريعة، وستشهد على ذلك بما وقع للحلاج وغيره، فقال في ذلك: ((كل من أفشى سر الربوبية سلط الله عليه سيف الشريعة، فيباح دمه ويهتك عرضه، كما وقع للحلاج وغيره ... والمراد بسر الربوبية: التوحيد الخاص الذي هو الشهود والعيان المخصوص بأهل العرفان))(٤).

وبمثل هذا الكلام قال الدكتور علي صبح عن الحلاج: ((مصرع الحلاج بسبب وحدة الوجود، فقد ندم على إذاعة أسرار الحب، وأصبح الحلاج مثلاً يضرب عند الصوفية حين غالى وبالغ في ضوابط السلوك الصوفي وآدابه))(٥).

وقد قرر رائد العشيرة المحمدية أن القول بالحقيقة المحمدية، والتي هي جزء من القول بوحدة الوجود بأنه لا يعرف معناها وحقيقتها إلا الخواص من أهل التصوف، قال في ذلك: ((وقد يصعب تحديد كل نوع منها بحد معين، لتقارب المشابه والملامح، وكلها تلتقي في مجال الرمز والإشارة والتلويح والتلميح، وقد أغرق أصحابها في تحري الكنايات والمجازات والاستعارات بما لا يفهمه إلا الخواص أو خواص الخواص))(٦).

---

(١) برنامج تلفزيوني على قناة الناس الفضائية بعنوان: ((الطريق إلى الله)) منشور على اليوتيوب.

(٢) درة الأسرار (ص١٦٧).

(٣) شرح صلاة القطب ابن مشيش لابن عجينة (ص١٧).

(٤) شرح قصيدة الرفاعي يامن تعاظم لابن عجينة (ص٢٠ - ٢٢).

(٥) الفكر الصوفي عند الدكتور زكي مبارك بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٤/ ٢٧٧).

(٦) فقه الصلوات والمدائح النبوية (ص ٤١)

وقرر في موضع آخر أن للصوفية اصطلاحات لا يعرفها إلا الخواص من الصوفية، فيقول في ذلك: ((إن للصوفيين اصطلاحاتهم التي قامت بعض الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواجيدهم، حين عجزت اللغة عن ذلك، فلا يفهم الصوفي إلا الصوفي، فالتصوف علم وفن وإدراك ونور، فالصوفي إذا قرأ ما تعيبه أنت، من نحو قول بعضهم: خلق الله الأشياء وهو عينها أو هو حقيقتها، فهم الصوفي على الفور أن المراد أنه قيومها ومفيضها من العدم))[١].

وأما ما يظهر على ألسنة القوم من إنكار القول بوحدة الوجود؛ فإن هذا في الظاهر، أما الباطن فإنهم مقرون بهذه العقيدة؛ فإن العارف عندهم له عينان ولسانان: لسان وعين للشريعة، ولسان وعين للحقيقة،فإذا تكلموا مع علماء الشريعة أو العامة تكلموا بلسان الشريعة، فقالوا: هناك رب وعبد، وخالق ومخلوق، وإذا تكلموا مع الخاصة تكلموا بلسان الحقيقة، فقالوا: ما ثم إلا الله وحده في كل هذا الكون[٢]، وقد بين الشاذلي هذه القاعدة لأتباعه فقال: ((إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجوداً والجمع في سرك مشهوداً))[٣].

ومع هذا كله نجد أن العشيرة المحمدية والتي ظاهرها إنكار القول بعقيدة وحدة الوجود، ويصرفون كلام من قال بها إلى معاني أخرى، كما فعله بعض أسيادهم الشاذلية وهو الأكثر والأعم في أقوالهم؛ ولكن نجد لهم أقوال أخرى توحي بالقول بعقيدة وحدة الوجود، مستخدمين في ذلك العبارات المجملة، والأساليب الرمزية، والألفاظ الغامضة، محاولة منهم لستر عقيدتهم؛ للتلبس والتدليس على المسلمين، ومع ذلك ظهرت على فلتات ألسنتهم، فتارة تظهر عند كلامهم في الحقيقة المحمدية، وتارة تظهر عند كلامهم عن توحيد الخاصة، وتارة تظهر عند كلامهم في مقامات العارفين، وتارة تظهر عند كلامهم ودفاعهم عن أصحاب وحدة الوجود، ومن الأمثلة على ذلك:

عندما تحدث رائد العشيرة المحمدية عن الحقيقة المحمدية، والتي هي جزء من القول بوحدة الوجود، حيث صرح بالحقيقة المحمدية وذلك عندما قرر بأن النبي ﷺ نور خلق من نور إلهي، وأنكر على الذين يقولون:إن النبيﷺ خلق من تراب وليس من نور، ثم أخذ يستدل على ذلك بأدلة سمعية بعيدة عن تأويله الفاسد، بعد ذلك استدل بدليل عقلي سخيف وهو أن أصل جميع الكائنات الكهرباء، والكهرباء نور، فلا غرابة بأن يكون

---

(١) كتاب يا ولدي (ص٥٧ - ٥٨).

(٢) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد (٣/ ١٣٨٤).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٧).

النبيﷺ نوراً، فيقول في ذلك: ((نقول باختصار شديد إنهﷺ خلق من نور إلهي ليستقبل له أنوار الحق ممتثلة في وحي السماء فهو من طينة نورانية خاصة اختارتها يد القدرة مثالاً للبشرية المعصومة ليتعامل بها مع البشر والملك، وهذا اختصار معنى الله ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ ﴾{سورة الكهف:١١٠}، جمعاً بين مطالب البشرية في وقت واحد، وإلا فكيف تتحقق الأسوة في رسول الله إن لم تكن تلك البشرية المحضة ممدودة بوحي السماء، إلا أن الدكتور المتحدث رمى القائلين بأن سيدنا محمداً خلق من نور بالجهل،وضعف العقل ... ليس جهلاً ولا ضعفاً في العقل ولا محدودية في الفهم ممن يعتقدون أن سيدنا محمداًﷺ خلق من النور، فهو نوراً تجسد طيناً أو نوراً تجسد نوراً، والله نور السموات والأرض، ثم إن علوم الذرة أثبتت أن أصل جميع الكائنات الكهرباء، والكهرباء نور، فلا عجب أن يكون النبي محمد نوراً تجسد فوق كل جسد نور))(١).

وعندما تحدث الدكتور علي جمعة عن فتوحات أهل المقامات، قال في ذلك: ((فتوحات أهل النهايات من البقاء والفناء ودوام اللقاء، وصاحبها يداوم على الذكر بعد إفناء أفعال نفسه في أفعال ربه بملازمته الشريعة، وصفاته في صفاته بملازمته الطريقة حتى يتجوهر القلب بنور الذكر، ويعر الذكر من كسوة الحروف والصوت، وانطبع نوره في مرآة القلب المصفاة من دنس أوصاف البشرية، ثم يسري إلى الروح ويتجوهر بجوهر الذكر ويتحد الذكر والذاكر، فيكون الذكر ذكر الذات، وحينئذ تتنور أجزاء الموجودات بنور ذكره؛ لأنه محيط بها وتتذكر الله معه، ثم: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾{سورة فاطر: ١٠ }))(٢).

ويبين رائد العشيرة المحمدية بأن عقيدة التصوف، وعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ ولكن لا يعرف هذا إلا من عرف تصوف أهل الحق، فيقول في ذلك : ((سلام عليك يوم تعرف تصوف أهل الحق فتلمسه، فتكون أرقى وأنقى، وأبقى وأتقى، وأما محيي الدين فقد قرر عقيدته في أكثر من كتاب مما كتب، وأكد أنها عقيدة أهل السنة والجماعة ... فهو يشهد الله على أن عقيدته تدور في فلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾{ سورة: آل عمران:١٨ }، فماذا تريد منه بعد؟ أما إن

(١) عصمة النبي ﷺ حقيقة واقعية لمحمد زكي إبراهيم (ص١٠٩ - ١١٣).

(٢) المصدر السابق (٢٤٣- ٢٤٤).

بعض الناس لم يفهم مراده فيما عبر به، فليس هذا ذنب محيي الدين؛ ولكنه ذنب الجهل بعلم محيي الدين، وذنب العمى عن كشف محيي الدين، وذنب العجز عن إدراك محيي الدين))[١].

وعلق رائد العشيرة المحمدية على بيت ابن عربي الذي يدعوا فيه إلى وحدة الوجود، وذلك عندما قال:

العبد رب والرب عبد ** فليت شعري من المكلف**

يعلق رائد العشيرة على هذا البيت مصححاً قول ابن عربي بطريقة التأويل: ((فذلك حق؛ أليس رب البيت أو غيره مثلاً عبد لله، وعبد الله تعالى رب البيت أو غيره، ألم يقل يوسف عن العزيز: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾{سورة يوسف: ٢٣ }، ألم يقل عبد المطلب للنجاشي: أما الإبل فإنا ربها،وقال يوسف للذي ظـــن أنه ناج منهما: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾{ سورة يوسف: ٤٢}أي: سيدك، ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: تذكر سيده))[٢].

ومن ذلك الصلوات الرمزية التي أقرها رائد العشيرة المحمدية، وأمر الناس بالتعبد بها، ومن ذلك:((اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخليقة الإنسانية، وأشرف الصور الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية، والرتبة العلية، من اندرجت النبيون تحت لوائه، فهم منه وإليه ...))[٣].

وخلاصة القول: أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة قالت بها الطريقة الشاذلية، ومن سار على طريقتهم كالعشيرة المحمدية، وغيرها من الطرق الشاذلية، وعلى ذلك تشهد أقوالهم ومقالاتهم، وهي بالعشرات، ولا يمكن تأويلها وصرفها عن ظاهرها[٤]، والخلاف الحاصل بينهم إنما هو خلاف صوري؛ لأن كل الطرق اتفقت على القول بها كما بين ذلك أئمتهم؛ لكن العارف عندهم له عينان ولسانان: لسان وعين للشريعة، ولسان وعين للحقيقة، فإذا تكلموا مع علماء الشريعة أو العامة تكلموا بلسان الشريعة،

---

(١) مجلة الدراسات الصوفية (٥٨ - ٥٩).

(٢) محمد زكي الدين إبراهيم وجهوده في التصوف لإيهاب الكومي (ص٢٨٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٦).

(٤) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد (ص ١٣٨٠).

فقالوا:هناك رب وعبد، وخالق ومخلوق، وإذا تكلموا مع الخاصة تكلموا بلسان الحقيقة، فقالوا: ما ثمَّ إلا الله وحدة في كل هذا الكون.

قال أحمد خيري[١] - أحد الصوفية - عن عقيدة الصوفية في وحدة الوجود: ((الصوفية من أول ما نشأ أمرهم يرون وحدة الوجود، ويقولون بها؛ ولكنهم كانوا قليلين، وكان قولهم هذا غريباً عما ذهب إليه جمهور أهل السنة، فلذا كان لا يجرؤ أحد على الإفصاح عن ذلك المذهب إلا قليل، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا؛ ولكن لما توالت الأيام وقوي شأن الصوفية في الإسلام، وظهر منهم رجال سلم لهم المسلمون بالعلو والرفعة والسيادة أمثال ابن عربي، وابن الفارض ... ورأى المسلمون أن هؤلاء - السادة الأتقياء أهل الصلاح والوفاء - يقولون بوحدة الوجود، خفف ذلك من اشتداد التحامل على هذا المذهب، وفي ذات الوقت أوجد ذلك له أنصاراً ومؤيدين، ومحبذين، ظهروا في هذا الوجود في صورة أتباع ... فكان هذا من أهم العوامل، بل أهمها في التغيير الذي حدث، فحول معتقد الناس نحو مذهب وحدة الوجود))[٢].

وتعتبر عقيدة وحدة الوجود من أعظم أنواع التوحيد عند الصوفية،وأهلها هم الكاملون العارفون بالله، ومع ذلك لا يستطيعون التعبير عنها، وهذا يدل دلالة قاطعة على بطلان هذه العقيدة،قال ابن تيمية رحمه الله مبيناً ضلال هؤلاء القوم، وذلك أثناء رده على القائلين بوحدة الوجود: ((إنه لا تصح العبارة عن التوحيد: كفر بإجماع المسلمين فإن الله قد عبر عن توحيده، ورسوله عبر عن توحيده، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد؛ بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد، وقد قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾{سورة الزخرف: ٤٥}، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، {سورة الأنبياء: ٢٥}، ولو لم يكن يصح عنه عبارة لما نطق به أحد، وأفضل ما نطق به الناطقون:هو التوحيد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل

(١) هو أحمد خيري، ولد ونشأ بالقاهرة سنة ١٣٢٤ه، وتعلم بها إلى نهاية المرحلة الثانوية، ثم بعد ذلك انتقل إلى قريته في البحيرية، وقد أنشأ بها مكتبة ضخمة قدرت بسبعة وعشرين ألف مجلد، توفي سنة ١٣٨٧ه، من مؤلفاته: وفيات المشاهير، والقصائد النبوية، والمتشابه من أسماء القرى المصرية، والمدائح الحسينية، وغيرها من المؤلفات. انظر: الأعلام (١/ ١٢٢).

(٢) نقلاً من كتاب عقيدة وحدة الوجود الخفية (ص٨٩).

الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[١]،وقال:«من كان آخر كلامه لا إلــه إلا الله دخل الجنة»[٢]، لكن التوحيد الــذي يــشير إليــه هــؤلاء الملاحــدة وهــو وحــدة الوجود))[٣].

المبحث الثاني: آراء العشيرة المحمدية في الحقيقة والشريعة والظاهر والباطن

إن مصطلح الحقيقة والشريعة يرد كثيراً في اصطلاح الصوفية، وخاصة الطريقة الشاذلية، وهو مرادف لمصطلح الظاهر والباطن، فالحقيقة هي علم الباطن، والشريعة هي علم الظاهر.

قال ابن عطاء معلقاً على قول أبي العباس المرسي: «الزم فو الله لئن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين»:((يريد مذهب أهل الشريعة أهل الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن))[٤].

وقال ابن عجيبة مبيناً اصطلاحات الصوفية ومقصودهم بعلم الظاهر، وعلم الباطن : ((ظاهر الشرع هو العلم الظاهر، وهو العلم المنقول، والعلم الباطن هو علم الموهوب، أو تقول: العلم الظاهر هو علم الحكمة، والعلم الباطن هو علم القدرة، أو تقول: العلم الظاهر هو علم البشرية، والعلم الباطن هو علم الروحانية، أو تقول: العلم الظاهر هو علم العبودية، والعلم الباطن هو علم الربوبية، فالأول: علم الأوراق، والثاني: علم الأذواق))[٥].

قال الشاذلي معرفاً مصطلح الحقيقة عند الصوفية: ((الحقائق هي المعاني القائمة بالقلوب وما اتضح منها وانكشف لها من الغيوب، وهي منح من الله وكرامات، وبها وصلوا إلى البر والطاعات)) [٦].

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ (٢/ ١٢٤٩)، في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث رقم ٣٨٠٠، والترمذي (٥/ ٣٢٥)، في أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم ٣٣٨٣، وقال: ((حيث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم))، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٦) في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح، حديث رقم ١٨٣٤، وقال: ((هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه))، وحسنه الألباني كما في المشكاة (٢/ ٧١٤)، وفي صحيح الجامع (١/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن من حديث معاذ بن جبل ﷺ (٣/ ١٩٠) في كتاب الجنائز، باب ما جاء في التلقين، حديث رقم ٣١١٦، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣)، في كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٩٩، وقال: ((هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه))، وصححه الألباني كما في المشكاة (١/ ٥٠٩)، وفي صحيح أبي داود (١/ ٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥١).

(٤) لطائف المنن (ص١٤٨).

(٥) لطائف المنن (ص١٤٨).

(٦) درة الأسرار وتحفة الأبرار (ص١٤١).

وقال الدكتور أحمد السايح في تعريف مصطلح الشريعة والحقيقة عند الصوفية: ((ويراد بعلم الشريعة: بيان الأحكام الشرعية التي مصدرها الكتاب والسنة، وإقامة وظائف العبودية، ويراد بعلم الحقيقة: ما تعارف عند الصوفية من المراحل التي لا بد أن يجتازها الصوفي مرحلة مرحلة، وكثير من الصوفية يرون
الحقيقة: مشاهدة الربوبية، وأن علوم الشرع الظاهرة هي الشريعة، وأن ثمرتها الروحية وما يتبعها من معارف باطنة هي الحقيقة))[1].

وقد ظهرت بدعة التفريق بين علم الشريعة (علم الظاهر)، وعلم الحقيقة (علم الباطن) عند الصوفية الأوائل، حيث جعلوا علمهم أكثر يقيناً من العلوم الأخرى، وجعلوه ثمرة الشريعة وروحها، وبناء على ذلك جعلوا لأنفسهم مصطلحاً ورموزاً خاصة بهم لا يفهمها أحد إلا عن طريق التلقي عنهم[2]، بل إنهم زعموا أن النبي ﷺ هو أول من وضع هذا العلم، الذي بدوره ورثه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم بعد ذلك أخذه الحسن البصري، ثم تسلسل أخذ هذا العلم من قطب إلى قطب حتى وصل إلى أبي الحسن الشاذلي، قال ابن عجيبة: ((وأما واضع هذا العلم فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري))[3].

وقد بين السيوطي أن علة تسمية الصوفية علم الباطن بعلم الحقيقة؛ استناداً على قول النبيﷺ لحارثة رضي الله عنه: ((كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا))[4].

والطرق الصوفية ليست على درجة واحدة من عقيدة الحقيقة والشريعة، إنما هم على ثلاثة أقسام كما بين ذلك ابن عجيبة:

---

(١) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٤/ ٢٦٥).

(٢) الطرق الصوفية في مصر، ضمن مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس والعشرون، الجز الثاني (ص٥٨ - ٥٩).

(٣) إيقاظ الهمم (ص٢٥).

(٤) انظر: تأييد الحقيقة العلية (ص٢٠)، والحديث الذي استدلوا به أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٠)، حديث رقم ٣٠٤٢٥، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦٦)، حديث رقم ٣٣٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١٥٩)، حديث رقم ١٠١٠٧، وهو حديث ضعيف، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٧): ((رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه)).

القسم الأول: من تغلب عليه الحقيقة وينكر الشريعة، قال في ذلك: ((فإذا وصل إلى الحقيقة: فمن الناس من يكون صدره ضيقاً، فلا يتحمل تلك الأنوار، ولا يطيق مشاهدة تلك الأسرار، فيغلب في شهود الوحدة وينكر الحكمة))[١].

القسم الثاني: من يكون باطنه حقيقة وظاهره شريعة، قال في ذلك: ((هو مقام خاصة الخاصة، وهم أهل الرسوخ والتمكن، فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم وتجوهر عقولهم، وكلما غابوا عن شهود الخلق
بشهود الحق زاد حضورهم، فتراهم مستغرقين في الفكرة والنظرة، ومع ذلك يحسون بدبيب النملة، حتى يظن من لم يبلغ مقامهم أنهم أهل الغفلة؛ لكثرة ما بهم من الفطنة، وهم مستغرقون في الحضرة))[٢].

القسم الثالث: من تغلب عليه الحقيقة ولا ينكر الشريعة ويكون وسطاً بينهما، قال في ذلك: ((ومن الناس من يكون واسع الصدر، قوي النور، فإذا أشرقت عليه أنوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة، وصار برزخاً بين حقيقة وشريعة، وهكذا يكون سيره بين فناء وبقاء، حتى يتمكن فيهما ويعتدل أمره بينهما، وهذه حالة الأقوياء، والطريقة الشاذلية جلها هكذا، ويسير أهلها بين حقيقة وشريعة، حتى يقع التمكين والاعتدال))[٣].

وهذا ما أكدت عليه العشيرة المحمدية في أقوالها ومقالاتها، وهو الجمع بين الحقيقة والشريعة، وأنهما شيء واحد، لا يقوم أحدهما إلا بالآخر، قال الدكتور أحمد السايح: ((وبين الشريعة والحقيقة أو الظاهر والباطن ارتباط وثيق كلاهما متتم للآخر، وغاية الطريق وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني))[٤].

وقال رائد العشيرة المحمدية: ((إن القول بمخالفة الشريعة للحقيقة على أي وجه زندقة، وربما أفضت بصاحبها إلى الردة بعد الإسلام، فالإسلام فعلاً يعترف بالشريعة على أنها ظواهر الأمور وصور العبادات، ويعترف فعلاً بالحقيقة على أنها روح الأمور وحكمة العبادات، فهما شيء واحد لا ينفصم، ولا يقوم أحدهما إلا بقيام الآخر، كالروح في الجسد، والماء في العود، والتمر من الشجرة، والحرارة في النار، والحلاوة

---

(١) ايقاظ الهمم (ص٤٥١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٥٢).

(٣) إيقاظ الهمم (ص٤٥١).

(٤) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٤/ ٢٦٥).

في السكر، والروائح في مياه العطور، والضوء من شعلة السراج، فلا قيام لأحدهما إلا بقيام الآخر))[1].

وقال أيضاً: ((الحقيقة والشريعة وكلاهما شيء واحد، فالشريعة نظام ظاهر، والحقيقة إدراك التزامات أسراره وحكمه، وممارسة أهدافه وآثاره، وقد قلنا: إن نسبة الحقيقة إلى الشريعة كنسبة الروح إلى الجسد، وهي نسبة الماء في العود، ونسبة الثمرة إلى الشجرة))[2].

وقال في موضع آخر: ((واعلم يا ولدي أن الشريعة ليست إلا الحقيقة، والحقيقة ليست إلا الشريعة، فهما شيء واحد، ولا يتم أحد جزأيه إلا بالآخر، وقد جمع الحق تعالى بينهما، فمحال أن يفرق إنسان ما جمع الله ... فلو فرق بينهما أحد هلك؛ فإن من رد الحقيقة أشرك، ومن رد الشريعة ألحد، ثم تأمل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تجد الشريعة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تجد الحقيقة، وهما شيء واحد يستحيل طرح أحد جزئيه، عبادة العبد: ظاهر الأمر، وإعانة الله: باطنه، ولا بد لكل ظاهر من باطن، كالروح في الجسد، والماء في العود، والحقيقة من الشريعة كالثمرة من الشجرة، والأريج من الزهرة، والحرارة من الجمرة، فلا بد من هذه لتلك، فاستحال قيام حقيقة بغير شريعة))[3].

وقال منكراً على دعوى مخالفة الشريعة للحقيقة واستدلالهم بقصة موسى مع الخضر: ((وقد التمس بعض أصحاب الأهواء من قصة موسى والخضر، ما جعلوه دليلاً على مخالفتهم للمعروف من الدين بالضرورة، فقالوا: إن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر، وأن العبد لا يزال ملتزماً حدود الدين حتى ينتقل من مقام الشريعة إلى مقام الحقيقة فتسقط عنه التكاليف ... إن التفريق بين مقام الشريعة ومقام الحقيقة معاً دسه الزنادقة على الناس، ودنسوا تصوف المسلمين بإلصاقه زوراً به، والقائل بهذا القول لا هو مسلم عامي ولا هو مسلم صوفي، والمؤمن به إما مؤمن ساذج مغفل، وإما منافق زنديق، وهو في أشرف أحواله جاهل مفتون، نحن نسلم بالغيوب والأسرار والحكم، ونسلم بالإلهام والكشف والكرامة؛ ولكن على أساس العزيمة في الدين والاعتصام بالسنة،

---

(١) أصول الوصول (ص٢٠٧).

(٢) كلمة الرائد (٢/ ١٣٩ - ١٤٠).

(٣) الخطاب لمحمد زكي إبراهيم (ص١٦ - ١٧).

والاحتياط المطلق في العبادة والأدب، وهذا وحده هو باب الولاية ومعراج القطبانية))(١).

وأكد أيضاً رائد العشيرة المحمدية بأن القول بمخالفة الشريعة للحقيقة ليس من التصوف الإسلامي،قال في ذلك: ((ليس من التصوف الإسلامي: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رفع عنه التكليف))(٢).

وأكد أيضاً أن شريعة بلا حقيقة هي شريعة عاطلة؛ لأنها تؤدي إلى الفسق، وحقيقة بلا شريعة هي حقيقة باطلة؛ لأنها تودي إلى الزندقة، فلا بد من الجميع بينهما، فقال في ذلك: ((فشريعة بلا حقيقة: عاطلة،وحقيقة بلا شريعة: باطلة، ولهذا قالوا: من تشرع ولم يتحقق فقد تعوق أو تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تهرطق أو تزندق))(٣).

وقال أيضاً: ((وقد اصطلح العارفون على أن يسموا قواعد الفقه وهيكل العبادة باسم الشريعة، وأن يسموا روح العبادة ومعناها – أي: التصوف فيها - باسم الحقيقة، ومن المثل السابق يتبين لك تلازم الشريعة والحقيقة في الأمر الكامل تلازم الماء في العود، والروح في البدن، وهو ما نسميه الطريقة، وذلك قولهم: شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة))(٤).

ثم يبين رائد العشيرة المحمدية أن علم التصوف لا ينال فقط بالكسب والمعرفة؛ بل لا بد من التعمق في علم الحقائق، من أجل إدراك الأسرار الكونية، قال في ذلك: ((إن التصوف عندنا هو علم فقه المعرفة، فهو تصحيح الإسلام، وتحقيق الإيمان، وتأكيد الإحسان، ومن هنا كان واجباً، ولا يمكن تحصيله بمجرد القراءة، ويبدو ذلك واضحاً في هؤلاء الذين يدرسون التصوف علماً، ولا يمارسونه عملاً، وهم يحملون على الألقاب العلمية، وكان يسميهم والدي عربات النقل، أو سعاة بريد المعرفة، إنما التصوف رفع الأستار عن أسرار الكونيات لإدراك أنوار شموس الحقائق، فلا بد مع العلم من المعاناة والممارسة))(٥).

---

(١) كلمة الرائد (٥٥٤ - ٥٥٦).

(٢) كتاب يا ولدي (ص١٧٠).

(٣) الخطاب (ص ١٦).

(٤) كلمة الرائد (١/ ١١٤).

(٥) كتاب يا ولدي (ص٢١).

وقد بيَّن رائد العشيرة المحمدية أن الطريقة تجمع بين الشريعة والحقيقة، قال في ذلك: ((والطريق أو الطريقة هي الجمع بين الشريعة والحقيقة، أي: بين الإسلام والإيمان، فهي مقام الإحسان، ثم إن الشريعة هي العمل بظاهر الكتاب والسنة، والحقيقة هي النفاذ إلى بواطن العمل الشرعي، واجتناء ثمره، والوقوف على سره، والتلذذ بحكمه وتشريعه وأسراره الباطنة، إلى غير ذلك مما يصل بك إلى مراتب التقديس، ويكشف لك المعاني المستورة في الذوات المنظورة، والحوادث الجارية، وإلى هذا أشار الله بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي بالتكليف الظاهري، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ أي: لنصل إلى السر الباطني في هذا التكليف، وإليه أشار تعالى في أمره لموسى بقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾{سورة طه: ١٤ } فنبه إلى أن الصلاة وهي العمل الظاهر، باب إلى الذكر، وهو الأمر الباطني، ما نص عليه كثير من المفسرين))[١].

قلت: هذه عقيدة العشيرة المحمدية في الحقيقة والشريعة، والتي ظاهرها الجمع بينهما، ولا شك أن القول بالحقيقة والشريعة، أو بالظاهر والباطن، بدعة ودسيسة على الإسلام، فليس في الإسلام شريعة ظاهرة، وحقيقة مخفية، بل إن الدين نزل لكافة أطياف المجتمع، والصوفية عندما يتكلمون عن الشريعة والحقيقة لا يقصدون بذلك أعمال الجوارح وأعمال القلوب التي تكلم عنها أهل السنة؛ إنما مقصودهم الأعظم من ذلك بيان أن للشريعة ظاهراً يفهمه الناس، وباطناً وأسراراً ودقائق تزيد على المفهوم العام من النص، لا يفهمه إلا الخاصة منهم؛ كل ذلك من أجل تمرير عقائدهم الباطلة، التي لا تسعها عقول عامة الخلق،وهذا فيه تجزئة للإسلام، وفيه اتخاذ القرآن عضين.

ثم إن علماء الإسلام أنكروا هذا التقسيم البدعي، قال ابن الجوزي رحمه الله في ذلك: ((لم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة، فأول ما وضعوا أسماء وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع))[٢].

(١) المرجع معالم المشروع والممنوع (ص٤٣).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (١/ ٣٢٩).

وبين ابن القيم رحمه الله بطلان قول الصوفية ونظرتهم للحقيقة والشريعة، وذلك في معرض رده على أبي إسماعيل الهروي[1]، حيث قال في ذلك: ((فإنه يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل، وبالأصول حقائق الإيمان ومعاملات القلوب، وأذواق الإيمان وارداته، فيفر من إحكام العلم والعمل إلى خشوع السر للعرفان، فإن أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها، ولا يعتدون إلا بأرواحها وحقائقها، وما يثبته لهم التعرف الإلهي، وهو نصيبهم من الأمر، والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الأمر،كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية، بل يستخرج منهم حقائق الأمر، وأسرار العبودية، وروح المعاملة، فحظهم من الأمر حظ العالم بمراد المتكلم من كلامه، تصريحا وإيماء، وتنبيها وإشارة، وحظ غيرهم منه حظ التالي له حفظاً بلا فهم ولا معرفة لمراده، وهؤلاء أحوج شيء إلى الأمر؛ لأنهم لم يصلوا إلى تلك التعرفات والحقائق إلا به، فالمحافظة عليه لهم علما ومعرفة وعملاً وحالاً ضرورية، لا عوض لهم عنه البتة، وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة، وقطاع الطريق من المنتسبين إلى طريقة القوم، فإنهم لما علموا أن حقائق هذه الأوامر هي المطلوبة أرواحها، لا صورها وأشباحها ورسومها، قالوا: نجمع هممنا على مقاصدها وحقائقها، ولا حاجة لنا إلى رسومها وظواهرها، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره، وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الأعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وأرواحها، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك، وهممهم أعلى، وأنهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر، فتركب من تقصير هؤلاء وعدوان هؤلاء تعطيل،وجملة الأمر أن هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته، فظنوا أنهم يصلون إلى حقيقته من غير رسمه وظاهره، فلم يصلوا إلا إلى الكفر والزندقة، وجحدوا ما علم بالضرورة مجيء الرسل به، فهؤلاء كفار زنادقة منافقون، وأولئك مقصرون غير كاملين، والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الأمر متوجه إلى قلوبهم قبل جوارحهم، وأن على القلب عبودية في الأمر كما على الجوارح،

---

(١)هو عبد الله بن محمد بن علي، أبو اسماعيل الأنصاري الهروي، شيخ خرسان في عصره، ومن كبار الحنابلة، ولد في هراة سنة ٣٩٦هـ، تعلم وأخذ التصوف على يد الخرفاني، له كلام جميل في إثبات الصفات، والرد على أهل الكلام في ذلك؛ لكن مما أخذ عليه الميل للتصوف، والقول بوحدة الوجود، من مصنفاته: منازل السائرين، والفاروق في الصفات، وطبقات الصوفية، توفي بهراة سنة ٤٨١هـ. انظر: العبر (٢/ ٣٤٣)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٣٤٢)، والأعلام (٤/ ١٢٢).

وأن تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح، وأن كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده بعبوديته، فهؤلاء خواص أهل الإيمان وأهل العلم والعرفان))(١).

أما ما جاء من نصوص عن رائد العشيرة المحمدية وتلاميذه، والتي تؤكد وجوب الجمع بين الحقيقة والشريعة، وأنها جزء واحد لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، فهذا القول إنما هو مجرد ألفاظ يرفضه الواقع التي تعيشه العشيرة المحمدية، ومن الدلائل على ذلك:

١- أن رائد العشيرة المحمدية جاء عنه التصريح بالتفريق بين الحقيقة والشريعة في بعض مقالاته، ومن ذلك أنه فرق بين الظالم، والمقتصد، والسابق، فالظالم لنفسه هو من وقف على حد الشريعة، والمقتصد هو من وقف عند حد الطريقة، والسابق هو من وقف عند مقام الحقيقة؛ لأن الشريعة أصلها الأقوال، والطرقة أصلها الأفعال، والحقيقة أصلها الأحوال، قال في ذلك قوله: ((فالظالم لنفسه عندهم من وقف عند حد الشريعة، والمقتصد من وقف عند حد الطريقة، والسابق من أدرك مقام الحقيقة، وذلك أن الشريعة أصلها الأقوال، والطرقة أصلها الأفعال، والحقيقة أصلها الأحوال، وكل منها كالأم لما بعدها لا تكون إلا منها، فالشريعة عمل الأجساد، والطريقة عمل القلوب، والحقيقة عمل الأرواح))(٢).

وبين في موضع آخر أن الظالم لنفسه هو الواقف على ظاهر الشريعة الذي لم يتحقق بأسرارها، والمقتصد هو الواقف على ظاهر الشريعة مع الانفعال أحياناً بالحقائق والأسرار، وأما السابق فهو الجامع بين الظاهر والباطن، قال في ذلك: ((الظالم لنفسه هو الواقف عند ظاهر الأمر، فلا يحاول أن يتحقق بأسراره، والمقتصد هو الواقف عند ظاهر الأمر مع الانفعال أحياناً بالحقائق والأسرار، والسابق هو الجامع بين أمر الظاهر وسر الباطن بكل ما أطاق وتحمل، فالأول المبتدي،والثاني السالك،والثالث المنتهي))(٣).

٢- أن رائد العشيرة المحمدية كثيراً ما يعقد مقارنة بين الحقيقة والشريعة؛ لبيان الفرق بين العلم الظاهر والعلم الباطن، فعلم الظاهر عنده إثبات للعبودية، وعلم الباطن إثبات للربوبية، وشهود العالم الغيبي، فمن ذلك قوله: ((الشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة جاءت بعريف الحق، فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، الحقيقة أن

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٧٠).

(٢) كتاب يا ولدي (ص٧٠).

(٣)المصدر السابق (ص٦٩ - ٧٠).

تشهده، ثم إن الشريعة قيام بما أمر به وبصر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وهذا رسول الله ﷺ: الشريعة أقواله، والطريقة أفعاله، والحقيقة أحواله))[1].

٣- ومما يكذب دعوى الجمع بين الحقيقة والشريعة، أن المقصود الأعظم عندهم هو علم الحقيقة، فهو العلم الصحيح اليقيني، الذي يجب أن يعيه قلب العارف، أما علم الشريعة فيجب الالتزام به ظاهراً على الجوارح بشرط ألا يطغى على علم الحقيقة، ومن ذلك قول رائد العشيرة المحمدية: ((إن الزهد الحقيقي الذي هو أساس التصوف أو الربانية الحقة، وهو ما يكون في القلب من الترفع والتسامي، ووزن الشهوات والمتع واللذائذ بميزان المقابلة بين الفناء والبقاء، والعزوف عنها تجاوباً مع اليقين القلبي والإقناع العقلي، والشهود الروحي، فالزهد عندنا: أن يكون الجمع في جنانك والفرق في لسانك، فمظهرك يؤدي وظيفة في مطالب العيش والحياة على ما هو ميسر له، وباطنك يؤدي وظيفة في مطالب الحق ومذاهب الغيب، على ألا يطغى شأن الظاهر على الباطن إلا بمقدار الضرورة عند أهل الأسباب، أما غير أهل الأسباب فلهم حكمهم الخاص بشروطه المقررة))[2].

ويصرح رائد العشيرة بأن المقصود الأعظم عندهم هو علم الحقيقة، قال في ذلك: ((نحن نسلم بالغيوب والأسرار والحكم، ونسلم بالإلهام والكشف والكرامة؛ ولكن على أساس العزيمة في الدين والاعتصام بالسنة، والاحتياط المطلق في العبادة والأدب، وهذا وحده هو باب الولاية ومعراج القطبانية))[3].

وقال في موضع آخر: ((إنما التصوف رفع الأستار عن أسرار الكونيات لإدراك أنوار شموس الحقائق، فلا بد مع العلم من المعاناة والممارسة))[4].

وقال أيضاً: ((ووظيفة التصوف فيه هي البحث عن الحقوق القلبية لمستوجب التقديس والسبحانية - عز وجل - وكيف يستمتع الموحد بإشراق شموس الأسماء والصفات، ويتضلع من أنوار الحقيقة فيما وراء المادة))[5].

ويبين رائد العشيرة أن التصوف قائم على علم الحقيقة الروحية، وهو النافذة التي تطلع على مشاهدة ما وراء المنظور وما بعد المادة، قال في ذلك: ((التصوف هو روح

---

(١) المصدر السابق (ص١٧ - ١٨).

(٢) كلمة الرائد (١/١٤١ - ١٤٢).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٥٥٦).

(٤) كتاب يا ولدي (ص٢١).

(٥) كلمة الرائد (١/ ١١٤).

الإسلام وإكسيره، وهو الحقيقة الروحية التي لازالت دعوة التوحيد في كل دين منذ آدم، وهو الأمانة الإلهية الكبرى، التي تربط بين الملك والملكوت،وهو النافذة التي تطل منها الأرواح على مشاهدة الحق الأكبر فيما وراء المنظور، وما بعد المادة، وهو العصمة الاجتماعية والذاتية الخالدة، ضد الزيغ والتحلل والشيوعية والاضطراب الاجتماعي والديني))[١].

وبين رائد العشيرة أيضاً أن التصوف قائم على مقام الإحسان[٢]، والتي به تلتقي جميع الطرق الصوفية، قال في ذلك: ((إن التصوف هو ثمرة التدين وهدفه الأخير، فهو مقام الإحسان الذي هو الفناء في الحق

ومقتضاه التزام الكمال المطلق في كل ما يتعلق بالمرء في شؤونه الخاصة والعامة، وطريق الكمال الاستقامة، وذلك فرض عيني ديني لا خلاف عليه؛ لاستحالة قيام المجتمع النقي الفاضل إلا به))[٣].

٤- ومما يكذب دعوى الجمع بين الحقيقة والشريعة، أن المراد بالشريعة عندهم هي شريعة علماء الباطن لا شريعة علماء الظاهر، قال رائد العشيرة المحمدية: ((أما أعمال الشيوخ فأمور تدور في فلك الشريعة على حكمين، قد يختارون أبعدهما، وهي شؤون يكون لها وجهين، يقولون بأقربهما إلى الرمز والتحجية، اختباراً وتأويلاً وتندراً لا بأس به))[٤].

٥- نرى تطبيقات العشيرة المحمدية للحقيقة والشريعة على ألفاظ القرآن والسنة، أو ما جاء عن أشياخهم، نجد أنهم يفرقون بين الشريعة والحقيقة، حيث يجعلون للنصوص ظاهراً وباطناً، فالظاهر عندهم ما يؤخذ من الفهم العربي، أو السياق أو غير ذلك من الأصول المرعية في التفسير، أما الباطن فهو العلم الخفي الذي يؤخذ من تلك الألفاظ، والذي لا يعرفه إلا الخواص منهم، ويطلقون عليه « علم الإشارات »[٥]،قال الدكتور أحمد السايح مبيناً هذا المسألة عند الصوفية: ((ولا يقف مدلول الحقيقة في مقابل الشريعة أو الباطن في مقابل الظاهر عند العبادات فقط؛ بل إنه شمل آيات القرآن بما

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٩).

(٢) مقام الإحسان عند الصوفية المراد به علم الحقيقة، قال عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف (ص٣٨١): ((وركن الإحسان: هو الجانب الروحي القلبي؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه السادة الصوفية)).

(٣) كلمة الرائد (١/ ٢٢٣).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٠٧).

(٥) انظر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد (ص١٣١٦).

تنطوي عليه من تشريعات وقصص أنبياء، ووعد ووعيد، ومن ثم يمكن اعتبار جانب الإشارات من أهم خصائص التصوف، ذلك أن التنزيل الإلهي يقف عند المعنى الظاهر من لفظه والوقوف بالتفسير عما يقتضيه العقل المحدود عقال عن الانطلاق إلى ما وراء القيود، ومن ثم كان للقوم إشارات تعبر عما يقع للقلوب من تجليات ومشاهدات وتلويحات وتلميحات يفيض فيها الله على قلوب صفوته وأحبابه من أسرار كلامه))[1].

وقال رائد العشيرة المحمدية: ((السادة الصوفية فهم يعتقدون النص بظاهر مفهومه مراداً به حقيقته العلمية في الإطار الإسلامي الصحيح، ولا يحيلون كلام الله تعالى عن وجهه المجمع عليه من الأمة؛ ولكنهم يرون أن الله قد يفتح على بعض خواصه بأسرار ودقائق تزيد على المفهوم العام من النص، ولا يتعارض معه؛ بلهي تؤيده وتعتبر إضافة من شرائف المعاني التي تزيد في شرف الظاهر والباطن معاً، فهي فتوحات لا تبطل شيئاً من الأمر والنهي، ولكنها تفيض عليه زينة وجمالاً وروحانية من فرائد الأسرار والمعرفة))[2].

٦- لم يكتفي رجال العشيرة المحمدية بالتنظير على مسألة أن للنصوص الشرعية ظاهر وباطن، شريعة وحقيقة؛ بل طبقوا ذلك على كثير من النصوص؛ محاولة منهم لتمرير كثير من العقائد الصوفية والذي لا يدركها - كما زعموا - إلا الخواص منهم، ومن ذلك:

فسّر رائد العشيرة المحمدية على وجوب الجمع بين الشريعة الحقيقة بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال: « إياك نعبد »هذه هي الشريعة، « وإياك نستعين » هذه هي الحقيقة[3].

واستدلاله معلى أن التصوف دل عليه القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾{ سورة آل عمران: ١٨ }، ووجه الدلالة من الآية عندهم: أن العالم المتفقه في دينه في مرتبة الملائكة مباشرة أو يسمو عنهم، وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وكما أن الأنبياء والرسل في أعلى المراتب، كذلك

(١) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٤/ ٢٦٦).

(٢) كلمة الرائد (٤/ ٤١٧ - ٤١٨).

(٣) انظر: كتاب يا ولدي (ص١٨).

هنالك مراتب لأولي العلم، فالرسل عليهم الصلاة السلام هم في المرتبة الأولى، وهم المثل الأعلى للتصوف[1].

ومن ذلك أنهم فسّروا قوله تعالى:﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾{ سورة يونس: ٥٨}،جواز الاحتفال بالمولد النبوي فقالوا: إحياء ذكرى مولد الرسول ﷺ بالمشروع من العبادات والخيرات ونحوها؛ إنما هو فرح برحمة الله، فهذا الاحتفال هو تنفيذ لأمر الله تعالى، وهو نوع من شكر النعمة، التي نحن مأمورون بشكر الله عليها، وهو واجب قراني صريح[2].

ومن ذلك أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ { سورة آل عمران:٧٩ }، فقالوا: الربانية والواردة في هذه الآية هي التصوف، فهي في الآية علم ودراسة، ومقتضى ذلك العمل، والعمل الصحيح، فالتصوف هو الربانية، وهو التقوى، وهو التزكية، وهذه الثلاثة شيء واحد فلا ربانية بلا تقوى، ولا تقوى بلا تزكية[3].

ومن ذلك أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾{ سورة الكهف:٦٥ }.، بأن المقصود بها علم الحقائق، فقالوا: العبد لا يعلم إلا ما علمه له ربه، وما كشفه له[4].

ومن ذلك أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾{ سورة البقرة: ٢٥٥ }، بأن هناك أناساً يحيطهم الله بشيء من علمه الغيبي عن طريق الكشف والفيض، وهم ليسوا برسل ولا أنبياء[5].

وفسروا قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ

---

(١) انظر: عقيدة التصوف الإسلامي لمحمد وصفي، مجلة المسلم العدد الأول، شعبان سنة ١٣٨٦ه (ص ١٧).

(٢) انظر: أبجدية التصوف الإسلامي (ص٤١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٤٣).

(٤) انظر: كلمة الرائد (٥/ ٢١١).

(٥) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٤/ ٢٧٢).

مِنْ هَادٍ ﴾{ سورة الزمر:٢٢ - ٢٣}، بأن الصوفي يرى بقلبه الحاضر بالله نور الحقيقة، وينكشف جلال الحق فيغرق في بحار نوره[١].

وفسروا قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾{ سورة: الأنبياء ٧٩ }، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسارية الجبل، أن مقام أهل الكشف مقام تجريبي، لا يأتي بالمجادلة والمناظرة النظرية؛ إنما هو هبة من الله يهدي إليه من يشاء من عباده الصالحين[٢].

وفسروا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾{ الشعراء: ٧٨ - ٨٣}أي: خلقني فهو يهدين إليه لا إلى غيره، والذي هو يطعمني الرضا، ويسقيني المحبة، وإذا مرضت فهو يشفيني بمشاهدته، والذي يميتني عن نفسي، ويحييني به، فأقوم به لا بنفسي، والذي أطمع ألا يخجلني يوم ألقاه بنظري إلى طاعتي وأعمالي[٣].

وفسّروا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾{سورة المدثر: ٣٢ - ٣٤}

بأن القمر هو رسول الله ﷺ فهو السراج المنير معنوياً كما ينير القمر حسياً، والليل المدبر هو الكفر بظلمته، والصبح المسفر هو الإسلام بنورانيته[٤].

وفسروا قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ أي: معارف وحقائق، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾أي: علوماً ومستنبطات كونية، ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾أي: يجمع للعبد بين الروحانيات والكونيات، ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾{ سورة الشورى: ٤٩ - ٥٠ } أي: محروماً من هذا وذاك[٥].

واستدلالهم على جواز الاحتفال بالمولد النبوي بصيام النبيﷺ يوم الإثنين، وعندما سئل عن ذلك قال: ((هو يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه))[٦]، قالوا: كان صومهﷺ لهذا اليوم شكراً لله، وهو نوع من إحياء ذكره مولده، ومنزلة هذا اليوم، وحثاً على الاهتمام بشأنه[٧].

---

(١) انظر: كلمة الرائد (٤/ ٢٧٢).

(٢) انظر: أصول الوصول (١٨٧ - ١٨٨).

(٣) انظر: كلمة الرائد (٤/ ٤٢٢).

(٤) انظر: كلمة الرائد (٤/ ٤٢٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٨١٩)في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، حديث رقم ١٩٧.

(٧) انظر: أصول الوصول (١٩٠ - ١٩١).

وذكر رائد العشيرة المحمدية أن ابن عطاء الله سئل: عن أي شيء من كتاب الله سكنت قلوب العارفين؟ قال: إلى أول حرف من كتابه يعني (الباء) من البسملة، فإن معناه: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت، وبتجليه حسنت، وباستتاره عنها فبحت، وذكر أن صوفياً آخر فسر (الباء) في البسملة بقوله: به تعالى كان ما كان، وبه يكون ما يكون، وبه كائن ما هو كائن وجوداً وعدماً طرداً وعكساً بداية ونهاية[1].

وقد أنكر أهل العلم التفسير الباطني للنصوص الشرعية، وعدوا ذلك من الضلال والانحراف عن المنهج القويم، قال الإمام الذهبي رحمه الله مبيناً بطلان التفسير الباطني للنصوص الذي جاء في تفسير أحد تفاسير الصوفية[2]: ((وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال، ومن كلام بالهوى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين ﷺ))[3].

وقال ابن أبي العز في ذم التفسير الباطني عند الصوفية وغيرهم: ((وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم.، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية))[4].

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي[5]رحمه الله: ((إذن فلا يشترط في فهم ظاهر القرآن زيادة على الجريان على اللسان العربي، إذاً كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، ولا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه باطل))[6].

٥- ومما يكذب دعوى وجوب الجمع بين الحقيقة والشريعة، أن العشيرة المحمدية جعلت أقوال أئمتهم التي فيها انحرافات عقدية، وآراء فاسدة، أن لها باطن لا يعرفه إلا

---

(١) انظر: كلمة الرائد (٤/ ٤٢٢).

(٢) يريد بذلك تفسير أبي عبد الرحمن السلمي.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٢).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨).

(٥) هو الدكتور: محمد حسين الذهبي، ولد سنة ١٣٣٣ هـ،باحث ومفسر من كبار علماء الأزهر ، شغل منصب أستاذ بالمعهد الديني بالقاهرة، ثم بكلية أصول الدين بالأزهر، فوزيرا للأوقاف، اغتيل سنة ١٣٩٧هـ،له مؤلفات كثيرة من أشهرها:التفسير والمفسرون، ومقدمة في علم التفسير، ومقدمة في علوم القرآن، ومقدمة في علوم الحديث، والإسرائليات في التفسير والحديث، ونور اليقين من هدي خاتم المرسلين ، وغيرها. انظر: تكملة معجم المؤلفين (١/ ٤٧٤).

(٦) التفسير والمفسرون (٢/ ٢٩٣).

هؤلاء الأولياء، ومن ذلك قول الدكتور: محمد مهنا: ((أن علوم هؤلاء تكون بالإشارة والرمز، والرمز يدق على غير أصحابه، وعلى غير أهله؛ فالرمز لأهله ولأصحابه يفهم بالإشارة، واللبيب بالإشارة يفهم، فأحياناً يكون مواجه بحقائق معينة وأسرار معينة،

فلا يستطيع أن يعبر عنها فيقول بالرمز والإشارة ما يفهمه الآخرون، أو ترجموه على فهمهم سواء أخطأوا أو أساءوا))(١).

ومن ذلك جواب رائد العشيرة المحمدية عندما سئل عن أصحاب الأفكار الغالية والعقائد الفاسدة؛ أن هؤلاء لهم اصطلاحاتهم الخاصة، ولذلك يجب على الباحث المنصف أن يدرس مصطلحاتهم وأصول فهمهم؛ حتى يستطيع معرفة كلامهم وطريقة أدائها، فيقول في ذلك: ((للإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى كتاب كامل، ولكنني أستطيع أن أعطيك قاعدة مبدئية تزن بها الخلاف الناجم حول فهم هؤلاء السادة، فهؤلاء اعتصموا في عباراتهم بما كانوا قد اصطلحوا عليه من تعبير خاص بهم، وما أصلوه لهم من أساليب في الفهم والأداء، فالباحث المنصف ينبغي أن يدرس مصطلحهم، وأصول فهو مهم، وطرائق أدائهم))(٢).

وقد بين رائد العشيرة المحمدية أن السالك من الصوفية يدرك عوالم ما وراء المنظور ما لا يدركه غيره من الناس، وهي منازل ومراتب لكل سالك فيها إحاطاته ومداركه ومشاهداته، وهي محكومة بنواميس العالم الروحي، يقول في ذلك: ((عوالم ما وراء المنظور، إن هذه المسائل كلها من عوالم الفيض، وما وراء المنظور، وهي منازل ومراتب غيبية شاملة للكون كله، ولكل سالك فيها إحاطات ومدارك، ومشاهد وأذواق، ومواجيد خاصة أو مشتركة، وهي لا تخضع لقوانين المادة الغليظة التي تحكمنا؛ وإنما هي محكومة بنواميس واقعية دقيقة محددة من عالمها الروحي، ومادتها المستورة، ولذلك كان أهلها جميعاً على حق فيما بلغوا به، فكل منهم يصف ما يرى في مقامه الذي قد يختلف عن مقام غيره، ولكنه لا يعارضه ولا ينافيه في الحقيقة ونفس الأمر))(٣).

وقد بين رائد العشيرة المحمدية أن الصوفية لهم اصطلاحاتهم الخاصة لبيان مدركاتهم ومواجيدهم، ولا يفهمها إلا الصوفي فقط، فقال في ذلك: ((إن للصوفية اصطلاحاتهم

---

(١) برنامج تلفزيوني على قناة الناس الفضائية بعنوان: ((الطريق إلى الله)) منشور على اليوتيوب.

(٢) كلمة الرائد (٣/ ٢٩٩ -٣٠٠)

(٣) أصول الوصول (ص١٩١ - ١٩٢).

التي قامت بعض الشيء، فلا يفهم الصوفي إلا الصوفي، فالتصوف علم وفن وإدراك ونور))[1].

وبهذا: يتبين أن العشيرة المحمدية تدعي الجمع بين الحقيقة والشريعة وأنهما شيء واحد لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ ولكن واقع القوم يبين خلاف ذلك، وهو التفرقة بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، وأن المقصود الأعظم عندهم هو علم الحقيقة، وهو العلم اليقيني الذي يجب أن يعيه قلب العارف، ولا عجب في ذلك؛ لأن هذه العقيدة سر من أسرار الطريقة التي يجب كتمها عن غير أهلها، وقد صرح ساداتهم الشاذلية بذلك، قال ابن عجيبة: ((فكانوا لا يتكلمون في الحقيقة وعلم السر إلا مع أهله، في موضع خال، وربما سدوا الأبواب، غيرة منهم على سر الربوبية أن يبتذل))[2].

وقال أيضاً: ((وهي عندهم – أي: علم الحقيقة - أعز من الكبريت الأحمر، وقد كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها لا قليل ولا كثير، حتى إذا رأوا أعطى نفسه وفلْسَه وبذل روحه بالكلية أشاروا إليه إشارة خفية))[3].

المبحث الثالث: آراء العشيرة المحمدية في دعوى علم الغيب

تزعم الصوفية معرفة العلوم الغيبية، وذلك عن طريق الكشف، حيث إنهم فتحوا باب الغيب للولي على مصرعيه، وجعلوه مطلعاً على الغيب، قال صاحب الموسوعة الصوفية:((وتبدأ المكاشفات في عالم الشهادة عند أهل السلوك في مبدأ الطريق، ويكشف للمريد أول ما يكشف عن المحسوسات، ثم ينتقل إلى عالم الغيب ... هكذا يقولون، وهو عالم لا يدرك إلا بعين البصيرة، وترتفع عن البصيرة الغشاوات بالمجاهدات، وعندئذ تلوح أعلام الغيوب بقدر ما يريد الله أن يكشف للسالك منها))[4].

وعلى ذلك سارت العشيرة المحمدية في تقرير مسألة اطلاع الولي على الغيب، وقد تواتر هذا في كثير من مؤلفاتهم ومقالاتهم، ولعلي أذكر شيئاً مما ورد عنهم في تقرير ذلك: قال رائد العشيرة المحمدية مبيناً أن التصوف يقوم على الإيمان بالغيب، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق الكشف والشهود، والإلهام الصادق: ((ويقوم شطر التصوف عندنا على الإيمان بالغيب؛ إذ وظيفة العقل معرفة الطبيعة، ووظيفة القلب معرفة ما وراءها بمحاولة التعرف على الغيب والعلاقة العملية به من باب العبادة والأدب والعلم

---

(١) كلمة الرائد (١/ ٦٥٣).

(٢) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (ص٢٠).

(٣) إيقاظ الهمم (ص٣٢٥).

(٤) الموسوعة الصوفية (ص ١٢٢٠).

الصحيح، فهو شطر الإيمان الأعظم وبه تنحل المشاكل، لا طاقة للعقل أو للعلم المادي بحلها، كمسائل القضاء والقدر، وحقائق سمعيات ما بعد الموت، فليس لها بعد الإيمان من طريق إلا الكشف والشهود، والإلهام الصادق الملحق بالمنازلات، محكوماً بالكتاب والسنة؛ لذلك كان التصوف بهذا المعنى روحاً للعقيدة، وملاكاً للإيمان، وكان هو الحب كل الحب، والصفاء بكل مقدماته وآثاره، وكان المحروم منه محروماً من ثمرات دين أهل القبلة))(١).

وقال في موضع آخر: ((بأن ما يغلب على هذه الصورة الروحية وجداني تجريبي، طريقة الكشوف والأذواق والإلهامات والمدارك الروحية، وقررنا أن لكل سالك في هذا الجانب إحاطات ومشاهد خاصة أو مشتركة؛ ولكنها غير متعارضة، وأنها محكومة بنواميس واقعية فليس في المساتير كما نفهم مرجلة أو تجميد ... ودعوى الإحاطة بكل العلوم لا يطبقها عالم ولا يقبلها دين، والتجني على الناس فيما رجح عندهم بدليله لا علاقة له بمناهج المصلحين، وها نحن لا تزال تتكشف لنا بين اليوم والليلة حقائق كونية وروحية، كان مجرد التفكير فيها كافياً لإسكان صاحبها شهوراً في سراي الهواء الطلق))(٢).

ويبين في موضع آخر أن الصوفي العارف تتكشف له أسرار مذهلة، من ذلك مساتير الغيب، الذي يجب الإيمان بها، مؤكدا أن هذا لا يعارض العقيدة، ولا يخالف الأصول، ومبيناً أن العلوم الغيبية لا تحصل إلا بالتجربة التطبيقية، والممارسة السلوكية الطويلة، وليس بالكلام التنظيري، ومن يدعي غير ذلك فإنه يخالف الإنصاف العلمي، والعدالة، والدين الذي يأمر بسؤال أهل الذكر، فقال حول هذه القضية:((وها نحن لا تزال تتكشف أمامنا يومياً أسرار مذهلة معجزة من المادة المشهودة، فكيف بمساتير الغيوب؟ ومن شرط المؤمن الإيمان بالغيب ما دام لا يعارض العقيدة، ولا يخالف الأصول، فالتوقح والاغتماز والتعالم هنا بالكلمات النظرية في هذه الجوانب العلمية التي تحتاج أساساً إلى التجربة التطبيقية كما قدمنا والممارسة السلوكية الطويلة، يخالف الإنصاف العلمي والعدالة الخلقية، ومبادئ الدين الذي يأمر بسؤال أهل الذكر))(٣).

ويؤكد أن عوالم ما وراء المنظور من عوالم الفيض، ولكل سالك فيها إحاطاته ومداركه، ومشاهدته وأذواقه، وأن أهلها على حق فيما يبلغون به، وأن الإيمان بها لا

(١) المرجع معالم المشروع والممنوع لمحمد زكي إبراهيم (ص ٨٣).

(٢) كلمة الرائد (ص ٢٥ - ٢٦).

(٣) أصول الوصول (ص١٩٩).

يقدح في العقيدة، ولا يخالف قواعد الشريعة المقررة؛ بل إن نفيها من معوقات السلوك وطريق الوصول، وصاحبها معرض للاستدراج وسوء الخاتمة، فيقول حول هذه القضية: ((عوالم ما وراء المنظور: إن هذه المسائل كلها من عوالم الفيض وما وراء المنظور، وهي مراتب غيبية شاملة للكون كله، ولكل سالك فيها إحاطات ومدارك ومشاهد وأذواق، ومواجيد خاصة أو مشتركة، وهي لا تخضع لقوانين المادة الغليظة التي تحكمنا؛ وإنما هي محكومة بنواميس واقعية ودقيقة محددة من عالمها الروحي، ومادتها المستورة، ولذلك كان أهلها جميعاً على حق فيما بلغوا له، فكل منهم يصف ما يرى في مقامه الذي قد يختلف عن مقام غيره، ولكنه لا يعارضه ولا ينافيه في الحقيقة ونفس الأمر، فالإيمان بها أو التوقف فيها أو تجميدها، أو استبعادها لا يقدح في العقيدة على قواعده الشرعية المقررة، فإنها خصائص دون الفروع الشرعية، وهي ذاتيات روحية وشخصية تدور في الفلك الإسلامي الرحيب؛ ولكن الإنكار عليها، أو نفيها عند أهل الحق معوق عن السلوك مؤخر للوصول، معرض للسلب والاستدراج، موطئ لما قد يكون به سوء الخاتمة والعياذ بالله؛ لأنه حكم على مجهول لا يقين عليه لغير العالم به فيسلم له))(1).

ويرون أن عالم الغيب عالم دقيق، لذلك هم فيه على درجات ومقامات؛ لأنها أمور تجريبية عملية لا تخضع للمنطق، ولا الكلام النظري، قال رائد العشيرة المحمدية حول هذه القضية: ((وعوالم الغيب نظام دقيق بالغ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ {سورة آل عمران: ١٦٣ }﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾{سورة الأحقاف: ١٩}﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾{ سورة الصافات: ١٦٤ } ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾{ سورة الإسراء: ٢١ }، وعلى هذا الأساس أثبتنا هنا ما رجحنا قبوله وإمكانه، وجواز صحة وجوده في العالم الروحي المجرد للتثقيف، والإحاطة بلون من الفكر الشريف حول واقع أشرف، وهذه المشاهد والكشوف والمنازلات أمور تجريبية عملية لا تخضع للنظر والتمنطق، وليتذكر المرء المنصف أن العالم يتكشف كل يوم عن غيب جديد، حتى أصبح مستحيل الأمس واقعاً تطبيقياً اليوم، وليكن العلم دائماً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾{ سورة الإسراء: ٨٥ }، وعالم المجهول المستور أضعاف عالم المعروف المشهور))(2).

---

(1) أصول الوصول (ص١٩٩).

(2) المصدر السابق (ص١٨٥ - ١٨٦).

وعلى هذا الأساس فإنهم يرون أن هناك أناساً من عباده خصهم الله بالتلقي عنه، واطلاعهم على أمور الغيب الحقيقي و الغيب المجازي عن طريق الكشف والفيض، فجعلوا الأولياء مساوين للأنبياء في هذه المسألة، يقول رائد العشيرة المحمدية حول هذه القضية: ((فإن الغيب نوعان: غيب حقيقي، وغيب مجازي، وما كان في مكنون العلم الإلهي، ولا يحيط به إلا الله وحده، أما الغيب المجازي فما قد كشف الله لمن شاء من ملائكته، فهو العلم الذي تتنزل به الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر، وبخاصة حين يفرق في ليلة القدر كل أمر حكيم، ومن معاني الفرق؛ الكشف والإظهار والبيان، ومما يدخل في الغيب المجازي ما يكون من الأحداث الكونية التي تقع في منطقة ما، فيراها أو يعرفها من هم حولها، ولا يراها ولا يعرفها الآخرون، فالغيب الحقيقي لله وحده: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾{سورة الأنعام: ٥٩ }، وقد يتفضل الله على بعض رسله فيحيطون بما شاء من علمه تأييداً لهم وتعجيزاً لخصمهم: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾{ سورة الجن:٢٦ - ٢٧ }، كما كان عيسى ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكما حدثنا رسول الله ﷺ في أعلام نبوته عن وقائع وأحداث جاءت في حياته وبعد مماته، كما حدث بكل تحديد، وهناك نفر من أهل الله - ولله أهلين - من عباده كما صح في الحديث الكريم، فربما أفاض الله على بعضهم ببعض الغيب الحقيقي أو المجازي، فضلاً منه ونعمة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾{ سورة البقرة: ٢٥٥} أي: أن هؤلاء يحيطوهم الله بشيء من علمه، وليسوا برسل ولا أنبياء، ومعنى كل هذا أن الله تعالى يتعطف على بعض الخواص من عباده بما شاء من بحر علمه فلا أحد يستطيع ان يحيط بشيء من علم الله بقدرته أو إرادته إلا أن يشاء الله، وهو قوله تعالى على لسان نبيه: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾{ سورة الأعراف: ١٨٨} أي فلا أعلم إلا ما علمني ربي،وما كشف عنه لي، ومن هذا الوجه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ {سورة: الكهف ٦٥ }))[١].

وقال مساوياً الأولياء والصالحين بالأنبياء، بأن الله يتفضل عليهم بمعرفة علم الغيب : ((ويتفضل الله فيظهر بعض أنبيائه على شيء يشاء به من أمر غيبه تكرماً منه وتثبيتاً

(١) كلمة الرائد (٥/ ٢١١)، وانظر: أبجدية التصوف (ص ٦٤ - ٦٥).

لهم وتحدياً لخصومهم وتعريفاً بشأنهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾{ سورة الجن: ٢٦ }، وعلى هذا تحمل أعلام النبوة وأخبارها التي لا تزال تصدق، ولا يقال في مثل هذا: إنهم أحاطوا بشيء من الغيب، فليس هذا بمقدورهم قط؛ ولكن يقال إن الله أحاطهم بما شاء، وكذلك قد يمتد فضل الله إلى ورثة الأنبياء من عباده الصالحين وأوليائه الخواص تفضلاً منه ونعمة، فيحيطهم ببعض أسراره في علم غيبه، وقد يكون ذلك فتحاً ربانياً بالكشف الروحي، أو بالإلهام أو الإدراك القلبي، وكلتا المرتبتين من ميراث النبوة في الفيض والمدد، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾{سورة البقرة: ٢٥٥ } وهذا القسم عام في الخليقة، يتأدى إليه الصالحون بأسباب الصفاء والتقوى، ويتأدى إلى غيرهم بأسباب شتى، فإنه ما من حق إلا وله باطل يشبهه، وذلك ما يسميه العلماء بالاستدراج))[1].

وهذا الدكتور محمد مهنا يشرح المقصود بالعلم الآخر عند الصوفية، والذي لا يكون إلا للخواص الذي أطلعهم الله عليه، وهم مشاركون للأنبياء بهذه الخاصية؛ بل إن الولي يستقي ذلك من الأنبياء، يقول حول هذه القضية: ((العلم الآخر المقصود به علم الغيوب، الذي كلما غاب عن الخلق ولم تنصب عليه علامة إلا دليل، ولم تكمن معرفته إلا بإعلام الملك الجليل، والغيب الحقيقي هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾{ سورة الجن: ٢٦ - ٢٧ }، والولي التابع للرسول منه يغترف، وعنه يأخذ، وبإمداده يستمد، وإليه في كل حالة يستند ...))[2].

ولعشيرة المحمدية ترى أن الولي يحيط بعلم الغيب بشرط أن يخصه الله بهذا، فالممنوع عندهم أن يدعي الولي إحاطته بالغيب من تلقاء نفسه، قال رائد العشيرة المحمدية: ((إن الله تعالى يتعطف على بعض الخواص من عباده بما شاء من بحر علمه، فلا أحد يستطيع أن يحيط بشيء من علم الله بقدرته أو بشخصه أو إرادته، إلا أن يشاء الله))[3].

وقد بين مشيخة الطريقة المحمدية، في أهمية الرابطة الروحية، فهي الطريق الموصل لمعرفة ما وراء المادة، والارتقاء في مقامات الأرواح، حيث قالوا في ذلك: ((الرابطة الروحية عندنا واجب أساسي أكيد يتعين عند أداء أوراد الطريقة كلها، وعند زيارة أهل

---

(١) كلمة الرائد (٢٨٤ - ٢٨٥).

(٢) برنامج الطريق إلى الله على قناة الناس الفضائية منشور على اليوتيوب.

(٣) أبجدية التصوف (ص ٦٥).

الله أحياء ومنتقلين، فإنها تدريب روحي عملي على الارتباط بالغيب فيما وراء المادة، والتسامي إلى مقامات الأرواح وكيفيتها بعد التوبة والاستغفار))[١].

قلت: هذه عقيدة العشيرة المحمدية في مسألة دعوى علم الغيب، والذي أريد أن أكده هنا أن العشيرة المحمدية وغيرها من الطرق الصوفية،جاءوا بمسألة الكشف ليهدموا هذا الأصل العظيم، وذلك عندما زعموا: رفع الحجب أمام قلبي الصوفي وبصره، ليخصه الله بشيء من الغيب الحقيقي أو المجازي، وليعلم ما في السموات والأرض جميعاً؛ بل جعلوا الغيب مفتوحاً أمام الولي الصوفي، بدعوى أن الله أذن له بذلك وخصه به، فهو يكاشف عن الذات الإلهية وصفاتها، ويدعي معرفة أسرار الكون، وحقائق الوجود، وعرفة الحلال والحرام،وحوادث الماضي والمستقبل، وربما ادعى بعضهم معرفة ما يدور في الضمائر[٢]،وهذا الذي يقرره رائد العشيرة المحمدية عندما قال: ((وهناك نفر من أهل الله - ولله أهلين - من عباده كما صح في الحديث الكريم،فربما أفاض الله على بعضهم ببعض الغيب الحقيقي أو المجازي، فضلاً منه ونعمة ... ومعنى كل هذا: إن الله تعالى يتعطف على بعض الخواص من عباده بما شاء من بحر علمه فلا أحد يستطيع أن يحيط بشيء من علم الله بقدرته أو إرادته إلا أن يشاء الله))[٣].

وهذا من أشد الباطل والافتراء على الله عز وجل؛ لأن من أصول الإيمان الاعتقاد بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وقد يخص الله من يشاء من أنبيائه ورسله بذلك كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾{ سورة الجن: ٢٦ - ٢٧ }، أما سائر الناس فإنهم لا يخصون بشيء من ذلك البتة كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾{سورة النمل: ٦٥}، والآيات في ذلك معلومة مشهورة، وقد جاء في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله))[٤].

---

(١) مشيخة الطريقة المحمدية الشاذلية، صادر عن دار المشيخة (ص٣٠).

(٢) انظر: الفكر الصوفي في الكتاب والسنة (ص١٤٣ - ١٤٦)، والتصوف لعبد الله حسن زروق (ص٤١).

(٣) كلمة الرائد (٥/ ٢١١).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٧٩)، في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ((الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام))، حديث رقم ٤٦٩٧.

وليس الأمر خاصة بالبشر؛ بل حتى الملائكة المقربين لا أحد منه يعلم شيء من الغيب إلا ما علمه الله لهم، فمن ذلك أن الملائكة اعترفوا بجهلهم، وعدم علمهم في معرفة بعض الحقائق، كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾{ سورة البقرة: ٣٢ }.

والأمثلة الواردة عن الأنبياء التي تبين وتدل دلالة قاطعة أنهم كانوا يجهلون معرفة الأمور الغيبية إلا ما أطلعهم الله عليه، فهذا نوح عليه ﷺ يجهل حقيقة ابنه وزوجته بأنهم لن يؤمنوا، وكذلك إبراهيم ﷺ يجهل بأنه يولد له ولد من زوجته سارة إلا بعد أن جاءته الملائكة وأخبرته بذلك، وكذلك جهل لوط ﷺ بحقيقة الملائكة الذين جاءوا لتدمير قومه، وأما محمد ﷺ فقد حدثت له وقائع كثيرة تدل على أنه لم يكن يعلم الغيب، وقد قال الله عنه في محكم التنزيل: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾{ سورة الأعراف: ١٨٨ }،فهذه النصوص وغيرها الكثير تبين وتدل دلالة قاطعة أنه لا أحد يعلم الغيب، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل،وقد سار الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدينعلى هذا الأصل العظيم؛ بل إن الصوفية المتقدمين لم يكونوا يحرصون على كشف ما وراء المنظور، بل كان همهم الاتباع والاقتداء، قال ابن خلدون رحمه الله: ((وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل، لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك؛ إنما همم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا، ومن أعرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به، وعلم الله أوسع، وخلقه أكبر، وشريعته بالهداية أملك، فلا ينطقون بشيء مما يدركون، بل حظروا الخوض في ذلك، ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده، بل يلتزمن طريقتهم كما كانوا في عالم الحس، قبل الكشف من الأتباع، ويأمرون أصحابهم بالتزامها، وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد))[(١)].

ومن الأمور المهمة التي يجب التأكيد عليها أن العشيرة المحمدية وغيرها من الطرق الصوفية في مسألة دعوى علم الغيب، أنهم يساوون بين الأنبياء والأولياء، وهذا خلط كبير وفهم سقيم، فمنأين يحصل لغير الأنبياء وحي إلهي تدرك به الحقائق الغيبية، قال ابن تيمية رحمه الله: ((فما يحصل لغير الأنبياء نور إلهي، تدرك به حقائق الغيب،

---

(١) تاريخ ابن خلدون (ص٣٨٩).

وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، وبحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب، وملائكته، وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه))[1].

ثم إن الأنبياء يجب الإيمان بكل ما يخبرون به، بخلاف الأولياء؛ يجب عرض أقوالهم وأفعالهم على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ به، وما عارضهما يجب طرحه ورده على صاحبه، وقال رحمه الله:((فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به؛ بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً))[2].

ثم إن ما تدعيه العشيرة المحمدية من الكشوفات الغيبية ما هي إلا أحوال شيطانية، وتخيلات وهمية تحصل لبعض الناس إذا غاب عن وعيه وحسه بسبب قوة الواردات، وضعف النفس مما يفقده صوابه، فيرى ويشاهد بخياله ما لو كان في حال اعتداله وحسه لم يره ولم يشاهده، الأمر الذي أدى ببعضهم إلى عقائد وتصورات فاسدة لا حقيقة لها، قال ابن تيمية رحمه الله: ((فإنهم يدخلون في أنواع من الخيالات الفاسدة، والأحوال الشيطانية المناسبة لطريقتهم ... وكثير ما تتخيل له أمور يظنها موجودة في الخارج، ولا تكون إلا في نفسه، فيسمع خطاباً يكون من الشيطان أو من نفسه يظنه من الله تعالى، حتى إن أحدهم يظن أنه يرى الله بعينه، وأنه يسمع كلامه بأذنه من خارج، كما سمعه موسى بن عمران، ومنهم من يكون ما يراه شياطين، وما يسمعه كلامهم، وهو يظنه من كرامات الأولياء))[3].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله محذراً من الاغترار بعمل هؤلاء الصوفية : ((فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال، ولا بإخبار عن مغيب؛ فإن ابن صياد وإخوانه الكهنة لهم خوارق، والرهبان فيهم من تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد، فصفت كدورات أنفسهم، وكاشفوا وفشروا، ولا قدوة إلا في أهل الصفة، وأرباب الولاية، المنوطة بالعلم والسنن))[4].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٠٨)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان (١/ ٧١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥١- ٣٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٧٩).

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله عز وجل على عونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وأسأله سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وفي نهاية هذا البحث يمكن أن أرصد أبرز النتائج التي توصلت إليها، ومن ذلك:

١- ساهمت العشيرة المحمدية في انتشار مظاهر الشرك في المجتمع، فهم لم يفهموا التوحيد على حقيقته، فأساس الإشكال عندهم هو عدم معرفتهم فيما يدخل في العبادة والتوحيد، وما يدخل في الشرك من عدمه.

٢- أن العشيرة المحمدية أشركوا في توحيد الربوبية قبل أن يقعوا في شرك توحيد الألوهية؛ وذلك بتقديس الأولياء من دون الله، ومشاركتهم في حكمه، وباعتقادهم أنهم يملكون النفع والضر سواء في حياتهم أو بعد موتهم؛ لذلك توجهوا لهم بالدعاء والاستغاثة والتضرع.

٣- الأصل في الولاية أنها مرتبة عظيمة من الدين لا ينالها إلا من تمسك بالدين كما أمر الله عز وجل، وتمسك بسنة النبي ﷺ، والتزم الشريعة ظاهراً وباطناً.

٤- تقسيم العشيرة المحمدية الولاية إلى ولاية خاصة، وولاية عامة، فهو تقسيم بدعي ما أنزل الله به من سلطان؛ لأنهم أخرجوا مصطلح الولاية عن معناه الشرعي.

٥- ما يذكره رجال العشيرة المحمدية من الأسماء والمراتب والأعداد، مثل الغوث، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، ونحوها، هذه لم ترد في كتاب الله، ولا هي مأثورة عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف.

٦- العشيرة المحمدية التزمت السكوت والسرية في إظهار عقائدها الصوفية الكبرى أمام العلماء والعامة، إنما اقتصروا في إظهارها على الخاصة من أتباعها مما جعل البعض يعتقد خلوها من التصوف الفلسفي، ومن خلال هذا البحث تبين انها لا تختلف عن بقية الطرق الأخرى، وتبين بأنها طريقة قالت بمقولات غلاة الصوفيه، كالقول بوحدة الوجود، والحقيقة والشريعة، ودعوى علم الغيب، وغيرها.

المصادر والمراجع

١- أبجدية التصوف الإسلامي، لمحمد زكي إبراهيم، مؤسسة إحياء التراث، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢- الأحدية لابن عربي، ضمن رسائل ابن عربي، جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٦١ه.
٣- أبو الحسن الشاذلي، عصره، تاريخه، علومه، تصوفه، لعلي سالم عمار، دار التأليف، ط١، ١٩٦٢م.
٤- ابن عطاء الله السكندري وتصوفه، لأبي الوفاء التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٣م.
٥- أدوار التصوف عند العرب، لعلي عثمان، طبعة الإصلاح، ١٣٥٣ه، بدون طبعة.
٦- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ضبط وتحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، و توفيق علي هبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م.
٧- - أصول الوصول أدلة معالم الصوفية الحقة، لمحمد زكي إبراهيم، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، ط٥، بدون تاريخ.
٨- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٩- إعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط٢، ١٤٢٢ه.
١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ه - ١٩٩١م.
١١- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات، للإمام الصنعاني، تحقيق: مجموعة من طلبة العلم، بإشراف الدكتور: حسن بن علي العواجي، ط١، ١٤١٧ه.
١٢- أهل القبلة كلهم موحدون، لمحمد زكي إبراهيم، علق عليه: محيي الدين الأسنوي، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، ط٣، ١٣٣٥ه - ٢٠١٤م.
١٣- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، بدون طبعة ولا تاريخ.
١٤- البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الهداية، ط١، ١٤١٠ه - ١٩٨٩م.

١٥- تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، لجلال الدين السيوطي، صححه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الصديق الغماري، المطبعة الإسلامية، عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م، بدون طبعة.

١٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن عبد العزيز الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون طبعة ولا تاريخ.

١٧- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨- التفسير والمفسرون، للدكتور: محمد حسين الذهبي، وهيبة، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.

١٩- تكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير بن رمضان، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠- تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣- جهود علماء الحنيفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين الأفغاني، دار العصيمي، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٤- الخطاب، هذا هو تصوفنا وتلك هي دعوتنا، لمحمد زكي إبراهيم، علق عليه: عبد الرحمن حسن محمود، ط٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، بدون دار للنشر.

٢٥- خلاصة العقائد في الإسلام، لمحمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٣، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦- الدليل إلى الطريقة المحمدية، إعداد أمانة الدعوة بالبيت المحمدي، مختارات من بحوث محمد زكي إبراهيم بإشراف محمد وهبي إبراهيم، المشيخة العامة للطريقة المحمدية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٧- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية الحراني، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٨- درة الأسرار وتحفة الأبرار، لابن الصباغ، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٩- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد بن عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف - صيدا أباد - الهند، ط٢، ١٣٩٢ه - ١٩٧٢م.
٣٠- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض، لعبد العزيز بن محمد بنعبد اللطيف، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ط٣، ١٤٣٢ه - ٢٠١١م.
٣١- رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، لعبد الرحمن المعلمي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٤ه.
٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١٤١٥ه.
٣٣- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت بدون طبعة ولا تاريخ.
٣٤- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤائد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة ولا تاريخ.
٣٥- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام ١٩٩٨م، بدون طبعة.
٣٦- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م.
٣٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧ه - ١٩٩٧م.
٣٨- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن خليل الهراس، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، الخبر، ط٣، ١٤١٥ه.
٣٩- - شرح صحيح مسلم، للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.
٤٠- شرح صلاة ابن مشيش لابن عجينة، ضمن سلسلات نورانية فريدة جمع العمراني الخالدي،توزيع مكتبة الرشاد، ط١، ١٤١٧ه.
٤١- شرح قصيدة الرفاعي يا من تعاظم، لابن عجيبة، ضمن سلسلات نورانية فريدة، جمع: العمراني الخالدي، مكتبة الرشاد، ط١، ١٤١٧م.
٤٢- شعب الإيمان، لحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، تحقيق الدكتور: عبد العلي عبد الحميد حاد، ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الهند، ط١، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م.

٤١- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون طبعة ولا تاريخ.
٤٢- صحيح وضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، من إنتاج نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعداده: أحمد عبد الله، بدون طبعة ولا تاريخ.
٤٣- الصلوات المباركات على أسعد المخلوقات، لمحمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط١، بدون تاريخ.
٤٤- الطبقات الكبرى(لوافح الأنوار في طبقات الأخيار) لعبد الوهاب الشعراني، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام ١٣٥١ه، بدون طبعة.
٤٥- الطريقة الشاذلية عرض ونقد، للدكتور ناصر العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.
٤٦- العبر في خبر من غبر، للإمام الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٤٧- عصمة النبي ﷺ حقيقة واقعية، عقلية، ونقلية، قطعية الثبوت، لمحمد زكي إبراهيم، ط٤، ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م، بدون دار للنشر.
٤٨- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية الحراني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م.
٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٧٩م، بدون طبعة.
٥٠- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، لابن عجيبة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون طبعة ولا تاريخ.
٥١- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، عام ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م.
٥٢- الفروع الخلافية، لمحمد زكي إبراهيم، علق عليه: محيي الدين الأسنوي، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، بدون طبعة ولا تاريخ.
٥٣- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، تحقيق مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة، ط٢،١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.
٥٤- فقه الصلوات والمدائح النبوية، لمحمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٣، ١٤٣٢ه - ٢٠٠١١م.
٥٥- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٣، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.

٥٦- في رياض الاسم الأعظم، لمحمد زكي إبراهيم، تحقيق: محيي الدين الأسنوي، طبع بدار نوبار، ط١، بدون تاريخ.
٥٧- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية الحراني، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان، ط١، ١٤٢٢ه - ٢٠٠١م.
٥٨- قضايا الوسيلة والقبور في ضوء سماحة الإسلام، لمحمد زكي إبراهيم، اعتنى به وخرج أحاديثه:محيي الدين الأسنوي، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٥، ١٤٢٥ه - ٢٠٠٤م.
٥٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد، السعودية، ط٢، ١٤٢١ه.
٦٠- كرامات الأولياء في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري، دار التوحيد، ط١، ١٤٣٣ه.
٦١- كشف شبهات الصوفية، لشحادة محمد صقر، مكتبة دار العلوم، مصر، البحيرة، بدون طبعة ولا تاريخ.
٦٢- كشف المحجوب، للهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد الهادي قندل، تقديم: بديع جمعة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٦٣- كلمة الرائد، افتتاحية مجلة المسلم، لمحمد زكي إبراهيم، إعداد: أمانة الدعوة، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط١، ١٤٢٦ه.
٦٤- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، لزين الدين المناوي، تحقيق: محمد الجادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٦٥- الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء بيقظة سيد الدنيا والآخرة، لأبي الفضل عبد القادر ابن الحسين بن مغيزل الشاذلي، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٣١ه - ٢٠١٠م.
٦٦- لسان العرب، لمحمد بن علي ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤ه.
٦٧- لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري، تحقيق الدكتور: عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط٣، ٢٠٠٦م.
٦٨- اللمع، لأبي نصر سراج الطوسي، تحقيق الدكتور: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ط٢، ١٣٨٠- ١٩٦٠م.
٦٩- لوامع الأنوار البهية وسواطر الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، لشمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م.

٧٠- مبادئ التأييد في بعض ما يحتاجه المريد، لابن عليوة المستغانمي، المطبعة العلوية، ط٢، ١٣٦٧هـ.
٧١- المتواليات دراسات في التصوف، ليوسف زيدان، بدون طبعة ولا تاريخ، ولا دار للنشر.
٧٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن علي الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة، علم النشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بدون طبعة.
٧٣- مجلة البحوث والدراسات الصوفية، أسسها محمد زكي إبراهيم، تصدر عن المركز العلمي الصوفي بالعشيرة المحمدية، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، بدون طبعة ولا تاريخ.
٧٤- مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بدون طبعة ولا تاريخ.
٧٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٧٦- المشروع والممنوع، لمحمد زكي إبراهيم، قدم له وعلق عليه: محيي الدين الأسنوي، دار إحياء التراث الصوفي، بدون طبعة ولا تاريخ.
٧٧- المرجع معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف، لإبراهيم الخليل الشاذلي، تقديم وتعليق: محمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٥، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٨- معارج التشوف إلى حقائق التصوف، تقديم وتحقيق: الدكتور عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، بدون طبعة ولا تاريخ.
٧٩- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٨٠- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢، ١٤٣هـ.
٨١- معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨٢- معجم المؤلفين، لعمر بن محمد بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٨٣- مفاتح القرب، لمحمد زكي إبراهيم، طبع بمطابع النوبار، ط٨، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٤- منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين المختار الشنقيطي، الدار السلفية، الكويت، ط٤، ١٤٠٤ه - ١٩٨٤م.
٨٥- موسوعة التصوف الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر، عام ٢٠٠٩م،بدون طبعة ولا تاريخ.
٨٦- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، لعبد المنعم الحفني، دار الرشاد،ط١، ١٤١٣ه -١٩٩٣م.
٨٧- موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهاوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٨٨- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، المغرب، مراكش، ط١، بدون تاريخ.
٨٩- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، لسليمان بن عبد العزيز الغصن،دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤٣٣ه- ٢٠١٢م.
٩٠- النبوات، لابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠ه - ٢٠٠٠م.
٩١- نفحات الأنس من حضرات القدس، لعبد الرحمن الجامي، دار التراث العربي، مصر، بدون طبعة ولا تاريخ.
٩٢- نهاية الإقدام في علوم الكلام، لعبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه الفرد جيوم، بدون طبعة ولا تاريخ.
٩٣- وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام، لمحمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٤، ١٤٢٠ه - ٢٠٠٠م.
٩٤- يا ولدي، مختارات في معاني التصوف وقواعد الدعوة إلى الله، لمحمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٢، ١٤٣٩ه - ٢٠١٧م.